مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

الحب عند ابن حزم الأندلسي في كتابه (طوق الحمامة في الألفة والألاف)

م.د. سارة احسان رميض
أ.د. أرشد يوسف عبــاس

الملخص :-
لقد وقع اختيارنا لهذا الموضوع ؛ لما فيه من أهمية في بيان جانب مهم من جوانب النفس الإنسانية وعلاقتها مع الآخرين ، بأقوى آصرة عرفتها النفوس ألا وهي الحب ، وعندما يكون هذا الموضوع الذي يمثّل هذا الجانب عند شخصية كابن حزم ؛ فإن الموضوع يكتسب أهمية أخرى مضافة إلى الأولى . وانقسم البحث على عدة مطالب شملت دراستنا لهذا الموضوع وفق منظور الكتاب (طوق الحمامة في الألفة والألاف) .

Summary :-

We have chosen this topic because of its importance in illustrating an important aspect of human psychology and its relationship with others, through the strongest bond known to souls, which is love. When this topic represents this aspect through the character of Ibn Hazm, it gains an additional layer of significance. The research was divided into several sections that covered our study of this topic according to the perspective of the book "The Ring of the Dove" (Tawq al-Hamamah) on love and relationships.

حياة ابن حزم :-
ظهر المفكر الأندلسي ابن حزم القرطبي ، وهو يحمل رؤية متميزة لقضايا عصره جعلته من الشخصيات البارزة في الحضارة الإسلامية عامة ، والأندلسية بشكل خاص . لقد فرض نفسه على صفحات التاريخ بما تركه من آراء ومواقف وآثار علمية ضخمة لم يختلف اثنان في أهميتها ، ولولا ما عرض له مع بعض أهل زمانه لكان أكثر شهرة من غيره ، وأنفذ تأثيراً ؛ إذ اجتمعت في شخصيته الخبرة السياسية والمعرفة الدينية بمختلف تخصصاتها ، كما كان صاحب رؤية ثاقبة وقدرة متميزة على تفحص دقائق الأمور بعقل واعٍ ومنهج متزن [١] .

نسبه ومولده ونشأته :-
هو الإمام الحافظ العلامة ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، الفارسي الأصل ، القرطبي المولد ، الظاهري المذهب [٢] ، ولد في قرطبة سنة (٣٨٤ هـ) ، و تعلّم القرآن صغيراً ، وكان والده أديباً بارزاً ، وعالماً صالحاً ، وإدارياً حازماً ، وكان ذا مهارة عالية في الأوساط السياسية ، فكسب ثقة الحكام ، وارتقى في مناصبه حتى صار وزيراً للمنصور محمد بن أبي عامر . لقد اهتم ابن حزم بالعلوم الشرعية النافعة و برز فيها جميعاً ، حتى فاق أهل زمانه ، وصنّف الكتب المشهورة ، وكان أديباً طبيباً شاعراً . ولقد كانت حياته وليدة لحظة حاسمة في تاريخ الأندلس ؛ لأنها كانت مرحلة انفراط عِقد الحكم الأموي ، وبداية عصر الإمارات وملوك الطوائف ، فكان ابن حزم خير شاهد على عصر أحداثه جسام . تربّى ابن حزم في بيئة ترفة، واحتضنته نساء القصر ، وعلمْنّه القرآن ، ورواية الشعر ، والخط ، وأمور الحياة ، ودرس اللغة ، الفقه، والأدب ، وأخذ عن كبار العلماء الحساب ، والمنطق ، والفلسفة ؛ لهذا كان ذا ثقافة واسعة [٣] تحول

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

من المذهب الشافعي إلى الظاهري حتى صار من أئمته ، وقد تصدّى للمتسترين بالعلم الذين اتخذوه وسيلة للتقرب من الحكام وفضحهم ، فكادوا له واتهموه بالمروق ، فاضطهد وسُجن مرتين [٤] . تعلّم ابن حزم تعلمه الأول بين النساء ؛ ولكن أباه الذي كان قائماً على تربيته معنياً به العناية كلها كان لايفتر عن مراقبته وملاحظة ميوله واتجاهاته ، ولقد حكى هو تلك المراقبة ، وأنها كانت سبب عفته مع ملازمته النساء والعيش الرغيد وحياة النعيم ، وتلك الرقابة المحكمة المفروضة عليه كانت مِمَّن يحرص كل الحرص على تربيته وتنشئته تنشئة قويمة في تلك الحلية من النعيم [٥] .

طلب ابن حزم العلم قبل السياسة ، وانصرف إليه انصرافاً كاملاً ، وإن كانت حياته ابّان ذلك متقلّبة وغير ثابتة ، فهو ينتقل من قرطبة إلى المرية ؛ للتخريب الذي أصاب قرطبة ، ثم يُقبض عليه و يُسجن ، ثم ينتقل إلى بلنسية ، ثم إلى القيروان ، وهكذا يعيش في ترحال غير مستقر ، ولايقضي وقته في بلد إلا في الدرس والاطلاع والبحث [٦] . ومن كل تلك المتناقضات والفتن والاضطرابات والتقلبات خرج ابن حزم على الدنيا بهذه المؤلفات العلمية الضخمة التي أعلنتْ عن شدة صبره ، وحزمه ، وجدَّه ، وتحدّيه لكل صعب ، لقد انجز كل ذلك في خضم بحر من العواصف والأعاصير أفاد منها ؛ فصقلت مواهبه وزادته إعتداداً بنفسه وثقة بها . وكانت وفاته _رحمه الله_ في إقليم (ليله) سنة (٤٥٦هـ) [٧] .

الحالة السياسية في عصره ودوره فيها :-

بعد القضاء خصومه والتخلص من منافسيه ، أضحى محمد بن أبي عامر الرجل الأقوى والحاكم المطلق في دولة الأندلس الأموي التي أخذت منذ ذلك الوقت تخلع ثوبها الأموي ، باستثناء لقب الخلافة الذي ظلَّ يُتلى في خطبة الجمعة ، وغابت عن مؤسسة الدولة شخصيتها الأموية ، وارتبطت كافة أجهزتها بهذا الشاب العامريِّ الطموح الذي توّج نفسه تحت لقب (المنصور بالله) تيمناً بالألقاب الملكية ، فعُرف بالحاجب المنصور . وحاول القضاء على الخلافة الأموية ووراثتها ؛ فقد أضحى الرجل الأقوى بالأندلس ، فعقد اجتماعاً خاصاً مع مستشاريه للتشاور في هذه المسألة ، وكان من بينهم ابن حزم (الأب) ، فعارضه ابن حزم؛ لأنه ليس بحاجة إلى اعتلاء سدة الخلافة وبيده جميع الأمور ، فعدل ابن أبي عامر آخذاً برأي ابن حزم [٨] ، غير أن ابن حزم بعد الاضطرابات التي ابتدأت سنة (٣٩٨ هـ) أخذ يعتزل الأمر وينصرف عن السياسة ، وقد اضطربت الأوضاع في قرطبة ، فانتقل من منازله الجديدة في شرق قرطبة إلى منازله القديمة غربها ، ثم مات سنة (٤٠٢ هـ) . وفي وسط الاضطرابات المستمرة بين المتنافسين في الملك ، والنزاع في البيت الأموي وقد رأى آل ذلك البيت يتناحرون ، ويأكل بعضهم بعضاً ، فارتضى لنفسه ما ارتضاه لنفسه أبوه من قبله بأن يكف عن نصرة فريق على آخر ، فزاد انصرافاً للعلم وتمسّكاً به مع طول الحسرة ؛ بل إنه في سبيل طلب الهدوء والانشغال بالعلم اضطر للخروج من قرطبة التي استمر إزعاج البرابرة لها ، فتركها إلى المرية سنة (٤٠٤ هـ) ، وقد عكف على القراءة والدراسة والتلقي ، وكان العلم عزاءً للنفوس في مثل هذه الأحوال ، إنَّ الاضطرابات المستمرة في الأندلس عامة وقرطبة خاصة انتهت باستيلاء آل حمود عليها وصار لهم سلطان في الأندلس ، فأخذوا يتبعون الأمويين ومن ينتمي إليهم ، وابن حزم هو وأسرته من مواليهم ؛ ولذلك اتهمه والي المرية من قبل الحموديين سنة (٤٠٧ هـ) بالعمل للبيت الأموي لإعادة السلطان إليه ، فاعتقل عنده شهراً، ثم ركب البحر قاصداً بلنسية عند ظهور عبد الرحمن المرتضى [٩] . وسار ابن حزم معه في جيش لحرب بني حمود ، فانهزم الجيش في موقعة (غرناطة) سنة (٤٠٨ هـ) ، وقُتل المرتضى وأُسِرَ ابن حزم ثم أُخلي سبيله فلجأ إلى شاطبة ، وأطمأن هناك ردحاً من الزمن كتب فيه كتاب (طوق الحمامة) ، وظل مع ذلك يدعو لعبد الرحمن الخامس الذي كان يطلب الخلافة لنفسه ، فلما وُفق عبد الرحمن إلى ما كان يسعى إليه ، وارتقى عرش الخلافة وتلقب بالمستظهر سنة (٤١٤ هـ)

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

استقدم ابن حزم وأقامه وزيراً له ؛ ولكن خلافة المستظهر لم تدم غير شهرين قُتِل بعدها ، وانتهى أمره ، فنُفي ابن حزم مرة ثانية من قرطبة ، فآلى على نفسه ألّا يضع في السياسة يداً من ذلك الحين مؤمناً بأنّ أدعياء الخلافة لم يعودوا يحوزون ما ينبغي من نصاب شرعي ، وأن الخلافة لم تعد حقاً إلهياً . وهكذا ظل ابن حزم إلى ذلك الحين موزّعاً بين السياسة والأدب ، أمّا بعد ذلك فقد كرّس وقته كلّه لدراسة الدين والفقه [١٠] .

شعر ابن حزم :-

اشتهر ابن حزم فقهياً متميزاً ومجادلاً قوياً ومفكراً أصيلاً ، كما اشتهر أديباً شاعراً ومؤلفاً غزير الانتاج ، وناقداً ، وهو يُعدُّ من العلماء القلائل الذين جمعوا بين قوة الفكر ، ورقة الأدب والفن ، وقد ذكر الحميدي أن أستاذه ابن حزم قد خلف ديوان شعر ؛ ولكن هذا الديوان قد فُقد [١١] . إنّ شعره يتراوح بين قصائد مطوّلة كتلك التي نظمها في الزهد والوعظ ، وبين قصائد قصيرة ومقطوعات أغلبها نُظم تعبيراً عن شجونه في الحب ، أو جدالاً لخصومه وشكوى من أهل زمانه ، وقد كان يأخذ على الكثير من معاصريه الصنعة التي كانوا يكتبون بها ، أو ينظمون بها أشعارهم . ولقد كان يتميز عن بقية الشعراء والنقاد في فهمه لوظيفة الشعر، ويختلف معهم في عدة قضايا ، فهو ينطلق من منطلق ديني أخلاقي ؛ لذلك قبل بعض الأغراض الشعرية كأشعار الحكمة ، والزهد ، والوعظ ، والرثاء ، والاعتبار بالدنيا ، ورفض أخرى كأشعار اللهَّو ، والخمريات ، والمجون ، ونهى عن ذكر الفواحش في الغزل ، ورفض الهجاء رفضاً قاطعاً ؛ لِما فيه من تناول لأعراض الناس ، كما رفض شعر الصعلكة والحروب ؛ لأنه يثير الفتن مستنداً في كل ذلك إلى المقياس الفقهي في قبول ما قُبِلَ ، وفي رفض ما رُفِضَ . كما أنه خالف النقاد والشعراء في مفهوم المجاز والإستعارة، فهو ينكر مغالاة الشعراء ومبالغاتهم كوصف نحول المحبين ، وتشبيه الدموع بالأمطار ، وهو يقرُّ مبدأ الصدق والكذب في الشعر منطلقاً فيه من نزعة أخلاقية ، فهو أعلى من شأن الصدق حتى جعله على رأس الفضائل الإنسانية كلها في كل مؤلفاته ، وتأسيساً على ذلك فإنَّه لا يساير المقولة التي اشتهرت (أعذب الشعر أكذبه) . وكان من أبرز موضوعات شعره الشعر الإسلامي ، والفلسفي ، والفخر ، والرد على المنافسين ، والحكمة ، والزهد فضلاً عن شعره في (طوق الحمامة) [١٢] .

تعريف الحبِّ وذكر مراتبه :-

الحب لغة : نقيض البغض ، والحبُّ الوداد والمحبّة ، وكذلك الحِبُّ بالكسر ، وأحبَّه فهو مُحِبٌّ ، وهو محبوبٌ على غير القياس مُحَبٌّ ، والمحبة اسم للحبِّ ، واستحبّه كأحبَّه ، والحِبُّ الحبيب ، والحبيب يجي تارة بمعنى المُحبِّ ، وتارة بمعنى المحبوب [١٣] .

والحُبُّ اصطلاحاً :"إنجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه" [١٤] .

مراتب الحبِّ : وأول مراتبه الهوى ، ثم العَلاقة وهي الحبُّ اللازم للقلب ، ثم الكلف وهو شدة الحب ، ثم العشق وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي أسمه الحبُّ ، ثم الشَغَفُ وهو احتراق القلب مع لذة يجدها ، الشَغَفُ وهو أن يبلغ الحبُّ شغاف القلب ، ثم الجوى وهو الهوى الباطن ، ثم التَبْلُ وهو أن يسقمه الحبُّ ، ثم التدْلُهُ وهو ذهاب العقل من الحبِّ ، ثم الهُيُوم وهو أن يذهب الرجل على وجهه لغلبة الهوى عليه [١٥] .

(طوق الحمامة في الألفة و الألّاف) :-

" (طوق الحمامة) يُضرب مثلاً ، يقال : (تقلّدها طوق الحمامة) ، أي لا تزايله ولا تفارقه ، حتى يفارق طوق الحمامة الحمامة " [١٦] . و(الأُلفة) اسم الائتلاف ، وهو الاجتماع ، والمقصود الاجتماع على المودة والمحبة . و(الألّاف) : جمع آلِف [١٧] .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

وقد ألفّ ابن حزم كتابه هذا تلبية لطلب صديقٍ له ، قد طلب منه ذلك في أنْ يصنّف كتاباً في الحبِّ والمحبين ، ولقد اشتمل الكتاب على ثلاثين باباً ، أولها باب (ماهية الحبِّ) ، وآخرها باب (فضل التعفّف) . وفي الوقت الذي كان فيه الحبُّ سائداً في الأندلس بنوعيه الحسي والعذري ، فقد كان تناول طوق الحمامة للحبِّ وفق دراسة قائمة على شيء من التجربة والتفلسف ، وربط الحبِّ بالنظرة الأفلاطونية ، وتوثيق العلاقة بينه وبين الأخلاق [١٨] .

الحكم على الحب عند ابن حزم :-

إنّ ابن حزم قبل الكلام عن الحب وتفاصيله يسارع إلى بيان حكم الشرع فيه ، فيقول : "الحبُّ _اعزك الله_ أوله هزل وآخره جدّ ... وليس بمنكر في الديانة ، ولا بمحظور في الشريعة ؛ إذ القلوب بيد الله عز وجلّ" [١٩] .

المطلب الأول :- (ماهية الحب عند ابن حزم)

لقد اختلف الناس في تعريف الحبِّ وماهيته ، ولا ينتظر ابن حزم طويلاً بعد ذكره لاختلاف الناس ، حتى يعرّفه هو ، ويبين ماهيته ، فيقول : " وقد اختلف الناس في ماهيته ، وقالوا وأطالوا ، والذي أذهب إليه أنّه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع ، لا على ما حكاه محمد بن داود (رحمه الله) عن بعض أهل الفلسفة : الأرواح أكثر مقسومة ، لكن على سبيل مناسبة قواها في مقر عالمها العلوي ، ومجاورتها في هيئة تركيبها " [٢٠] .

نلاحظ أن ابن حزم لم يختلف مع أهل الفلسفة ؛ بل قد اتفق معهم ، لكنه ادّعى مخالفتهم ، إذ ليس هناك من فرق يميز تعريفه عن تعريفهم سوى فرق لغوي فقط ، لقد قال : "اجزاء النفوس المقسومة" بينما قال الفلاسفة : "أكثر مقسومة" فوقعت الموافقة من حيث اراد المخالفة ! ، وقال : "في أصل عنصرها الرفيع" ، بينما قالوا : "في مقر عالمها العلوي" .

وبعد ذلك يتابع ابن حزم مؤكداً أن الشكل دأباً يستدعي شكه ، والمثل إلى مثله ساكن ، وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد ، والنفس في عالمها العلوي الصافي الخفيف ، وجوهرها الصعّاد المعتدل ، أولى في السكون إلى مثلها " [٢١] ، ثم يستشهد بقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٩] ، وبعد ذلك يستشهد بحديث النبي محمد _صلى الله عليه وسلّم_ : "الأرواح جنود مجنّدة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف" [٢٢] . وكان ابن حزم يريد أن يخرج في تعريفه بين أقوال الفلاسفة وأصولهم ، وبين نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ؛ لكنه لو وقف عند نصوص القرآن الكريم والسنة واكتفى بما فيهما من دلالة لما احتاج أن يتكلف كل هذا التكلف ، ولفهم منهما ما يريد من اثبات تعارف الأرواح أو تناكرها دون أن يتكلف فهم تجزئتها ، وهو بذلك قد خالف منهجه الظاهري و انحاز إلى الفلسفة دون أن يشعر .

وإذا كانت الصورة الجسدية علة الحب عند الكثيرين ، كعمرو بن أبي ربيعة [٢٣] ، فهي ليست كذلك عند ابن حزم ، إذ يؤكد بأنّه لو كانت علته الصورة الجسدية ؛ لوجب ألّا يُستحسن الأنقص من الصور ، ونحن نجد كثيرا ممن يؤثر الأدنى ، ويعلم فضل غيره ، ولايجد محيداً لقلبه عنه ، ولو كان للموافقة في الأخلاق ؛ لما أحبَّ المرء من لا يساعده ، ولا يوافقه ! ، فعلمنا أنّه شيء في ذات النفس ، وربما كانت المحبة لسبب من الأسباب ، وهذه تفنى بفناء سببها ، فمن ودّك لأمرٍ ولّى مع انقضائه [٢٤] . وفي هذا المعنى يقول ابن حزم[٢٥]:

ودادي لك الباقي على حسب كونه تناهى ، فلم ينقص بشيء ولم يـزد
وليست له غيــر الارادة علّـــــة ولا سبب _حاشاه_ يعلمه أحـــــدْ

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

إذا ما وجدنا الشيء علّة نفســـه فذاك وجود ليس يفنى على الأبـــدْ
وإمّا وجدناه لشيء خلافـــــــه فإعدامه في عُدمنا ما له وجـــــدْ

في هذه الأبيات نرى ابن حزم يُؤكد لحبيبه بأنّ حبّه مستمر وباقٍ ، وكبير متناهٍ ، كما كان أول أمره ، فبلغ أقصى غايته ؛ لأنه ليس مرتبطاً بسبب يتحكم في زيادته أو نقصانه ؛ لأن الإرادة [٢٦] هي علته الوحيدة ، وليس له علة [٢٧] غيرها ، وفي هذه الأبيات تأثر بالفلسفة واستخدام لألفاظها ، فكون الشيء علة نفسه عند الفلاسفة يعني خلوده ؛ لكونه ليس معلولاً [٢٨] ، فحبٌ بغير هذه المقومات ، وأولها الإرادة أساساً لهذا الحب ، هو عدم .

والمحبة عند ابن حزم تنقسم على ضروب ، يقول : "فأفضلها محبة المتحابين في الله عز وجل ، إما الاجتهاد في العمل ، وإما الاتفاق في أصل النحّلة والمذاهب ، وإمّا لفضل علم يُمنحه الإنسان ، ومحبّة القرابة، ومحبة الألفة ، والاشتراك في المطالب ، ومحبة التصاحب والمعرفة ، ومحبة البرِّ يصنعه المرء عند أخيه ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحابين لسرٍّ يجتمعان عليه يلزمهما ستره ، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس" [٢٩] .

إن ابن حزم في الأشعار التي قالها في حديثه عن الماهية تتكشف حقيقة منهجه الفلسفي فيها من دون أن ينال الماهية نصيب منها ، ولا يتطرق لما ذكر من ضروب المحبة في أشعاره ؛ ولذلك لم نلمح منه منهجية في أشعاره بحسب ما يورد من تعريف وتقسيم ، غير أن هذه المنهجية نجدها واضحة في تناوله تعريف الحب أولاً ، ثم ذكر أنواع المحبة ، ثم بين بعض صفات الحب الذي حمله في صدره لمن أحب وعدم التناسب بين منهجية العرض وبين ما قدمه من أشعار يدل على أنه قد انشغل بالتعبير بهذه الأشعار عن تجربة خاصة مرّ بها ، ولم يلتفت إلى تناسب هذه الأشعار ومضمونها مع موضوع الماهية ، من تعريف ، ووصف ، وذكر للأنواع . وفي هذا دليل على أنّه لا يتكلف قول الشعر ؛ ولذلك نجد أشعاره تتركز حول وصف حبٍّ لا يمكن إلّا أن يكون مكانه قلبه هو ، وأوصاف حبيب لايمكن إلا أن يكون حبيبه هو يقول [٣٠] :

ما علّة النصر في الأعداء تعرفها وعلة الفرِّ منهم أن يفرُّونـــــــا
إلّا نزاع نفوس الناس قاطبـــــة إليك يا لؤلؤاً في الناس مكنونـــا
من كنتَ قدّامه لا ينثنـــــي أبداً فهم إلى نوركَ الصعّاد يعشونـــــا
ومن تكن خلقه فالنفس تصرفـه إليك طوعاً فهم دأباً بكرونـــــــا

في الأبيات التي تقدمت وصف لجمال المحبوب ، حاول ابن حزم من خلالها نقل احساسه بهذا الجمال؛ ليجعلنا ننظر بعينه هو ، فما نجده في هذه الأبيات هو صدى صورة محبوبه في نفسه ، وليس صورة المحبوب نفسها ، فيخبرنا بأنه في الوقت الذي جُهلت علة النصر على العدو ، وعلة فراره ، فإنّ المعلوم هو نزاع نفوس الناس في حبِّ هذا المحبوب الذي وصفه بأنه مكنون بمَن حوله من الناس ، بما فيهم من أصحاب الجمال ، وكأنه اللؤلؤ ، ثم وصف حال مَن خلف المحبوب بأنّه لا ينثني أبداً ، ويكاد بصره يعشو عما دون المحبوب ، أمّا مَن أمام المحبوب فنفسه تكرُّ إليه ناظرة ، لا تمل من النظر ، وكأن الناظر في معركة قَرُبَ نصرها ويخاف أن تفوته حلاوة النصر ؛ لذا يستعجله بالكرِّ المستمر على العدو .

ويقول ابن حزم واصفاً ومؤكداً أمر اتصال النفوس[٣١] :

أمِن عالم الأملاك أنتَ ، أم إنسي أين لي فقد أزرى بتمييزي العيُّ !
أرى هيئة إنسية غير أنّـــــــه إذا أعمِل التفكير فالجرم علـــويّ
تبارك من سوَّى مذاهب خلقـــه على أنّك النور الأنيق الطبيعـــيّ
ولاشك عندي ، أنّك الرّوح ساقـه إلينا مثال في النفوس اتصالـــيّ

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

عدمنا دليلاً في حدوثك شاهـــداً نقيس عليه ، غير أنَّكَ مرئـــيّ

لقد استخدم في البيت الأول ما يسميه علماء البلاغة (تجاهل العارف) [٣٢] ، أراد من خلاله المبالغة في وصف جمال المحبوب ، مدعياً بأنّه قد أعياه التمييز ، فلا يدري أ هذا الجمال أرضي أم سماوي ! ويؤكد هذا المعنى في البيت الثاني بأن ما يراه من هيئة أمامه فهي لإنسان ، أما إذا أعمل التفكير فهذا جسم سماوي!. ثم يتابع وصف المحبوب مشبّهاً إياه بالنور الطبيعي ، ولولا اتصال النفوس لما كان هذا المحبوب محبوبه ، ونلاحظ استخدام ابن حزم لمصطلح (الإحداث) [٣٣] بمعناه الفلسفي ، في قوله : "عدمنا دليلاً في حدوثك شاهداً" ، وإذ إنّ الحارث مرئي ، فهذا دليله الوحيد على حدوثه ، وهي مبالغة في الوصف نستغربها من ابن حزم الفقيه ! .

إنّ مثل هذه المبالغات قد انكرها ابن حزم نفسه على غيره ، قال : "ولم اقتنع أن أورد لك في هذه الرسالة أشياء يذكرها الشعراء ، ويكثرون القول فيها ، موفيات على وجوهها ، ومفردات في أبوابها ، ومنعمات التفسير ، مثل الإفراط في صفة النحول ، وتشبيه الدموع بالأمطار وأنها تروي السقّار ، وعدم النوم البتة ، وانقطاع الغذاء جملة ، إلّا أنّها أشياء لا حقيقة لها ، وكذب لا وجه له ، ولكل شيء حدّ ، وقد جعل الله لكل شيءٍ قدراً" [٣٤] .

إنَّ ابن حزم في ذلك أمام أمرين : إمّا أنّه تناقض مع نفسه في هذه المبالغات ، وإمّا أنّه كان في صدد التعبير عن تجربة حبٍّ حقيقية قد أثرت في نفسه أشدَّ التأثير حتى أنسته ما أصَّل بنفسه ، وسطَّر بقلمه .

المطلب الثاني :- (علامات الحب عند ابن حزم)

وإذا تمكّن الحبُّ من القلب فإنّه لا يفتر عن البحث عمّا يصله بالمحبوب ، ويلبي ما يستدعيه هذا الحب الذي استقر في القلب ، حتى يفطن لمثل هذا من يتأمل حاله ، ويدقق في تفاصيل ما يعرض له ، وما يصيبه فيها ، يقول ابن حزم : "وللحب علامات يقضو ها الفطن ، ويهتدي إليها الذكي ، فأولها : إدمان النظر ، والعين باب النفس الشارع ، وهي المنقبة عن سرائرها ، والمعبّرة لضمائرها ، والمعرّبة عن بواطنها ، فترى الناظر لا يطرف ينتقل بتنقل المحبوب ، وينزوي بإنزوائه ، ويميل حيث مال كالحرباء مع الشمس" [٣٥] . وابن حزم يرسم لنا صورة ملازمة عين المحب لمحبوبه ، ويمثلها بالنعت الذي يتبع منعوته في النحو العربي، فيقول [٣٦] :

أصرِّفها حيث انصرفت وكيفما تقلبت كالمنعوت في النحو والنعت

وإذا كان هذا كل همِّ العين في حضرة المحبوب ، فإنّ الشوق همُّها عند غيابه ، وإنّها ليصيبها الظمأ ، حتى ترتوي من رؤيته ، ومثل هذا المعنى قد تحدّث عنه الشعراء ، كقول ابن أبي ربيعة [٣٧] :

إذا ما غبتِ كاد إليك قلبـــــي فدتكِ نفسي من شوق يطيـــــر
يطول اليوم فيه لا أركـــــم ويومي عند رؤيتكم قصيـــــر

وبعد الذي ذكره من أمر النظر ، يذكر ابن حزم علامات أخرى منها الاقبال بالحديث مع المحبوب ، وإن تكلف ذلك ، وتصديقه وإن كذب ، وموافقته وإن ظلم ، والشهادة له وإن جار [٣٨] ، وبذلك يتبين لنا السبب في وصف ابن حزم العشق بالداء [٣٩] ، ومن هذه العلامات الاسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه ، والتباطؤ عند القيام عنه ، وهذا المعنى نجده عند ابن القيم : "ومنها : الإقبال على حديثه والقاء سمعه كله إليه، بحيث يفرغ لحديثه سمعه وقلبه ، وإن ظهر منه إقبال على غيره فهو إقبال مستعار يستبين فيه التكلف لمن يرمقه" [٤٠] .

يقول ابن حزم[٤١] :

إذا قمت عنك لـــــم أمش إلا مشي عان يقاد نحو الفنـــــــــاء

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

في مجيئي إليك احتث كالبـد ر إذا ما كان قاطعاً للسمـــــــاء
وقيامي إن قمت كالأنجم العا لية الثابتات في الإبطـــــــاء

يصف ابن حزم قيامه عن محبوبه ، وكأنه أسير يقاد ليُقتل ؛ فيثقل من خطاه ، فهو إقباله مسرع ، وفي ادباره مثقل من خطاه ، مقصر فيها ، وهذا أمر نجده عند الشعراء ، يقول ابن خفاجة [٤٢] :

كلما مرَّ قاصر من خطـــاه يتهادى كما يمـــــــر الغمـــام

ومثل هذه العلامات ، كان متداولاً بين الشعراء ، ومشتهراً بين الناس ، ونجده عند ابن القيم : "ومنها الإسراع إليه في السير ، وحثُّ الركاب نحوه ، وطيُّ المنازل في الوصول إليه ، والاجتهاد في القرب والدنو منه ، والرغبة عنها ، والاستهانة بكل ما يكون سبباً لغضبه ومقته وإن جلّ ، والرغبة في كل ما يدني إليه وإن شق" [٤٣] .

ويذكر ابن حزم بعد ذلك من هذه العلامات بهتاً يقع للمحب وروعة واضطراب تبدو عليه عند رؤيته لمن يحب فجأة أو عند سماع اسمه فجأة [٤٤] ، وفي ذلك يقول [٤٥] :

إذا ما رأتْ عيناي لابس حمـرة تقطع قلبي حسرة وتفطـــــــرا
غدا لدماء الناس باللحظ سافكاً وضرج منها ثوبه فتعقـــــــرا

يصف ابن حزم هذا البهت الذي يقع للمحب عند رؤيته لمن يحب فجأة ، ويحدِّث به عن نفسه ، فما تكاد العين ترى ، حتى يتحسر القلب ، وينفطر من ذلك ، فكأن المحبوب صار يقتل من يلقاه بحسنه ؛ لذلك يحاول ابن حزم إثبات هذا القتل بدليل يتهم فيه المحبوب بالجريمة التي نسبها إليه مدعيّاً أنّ رائحة الدماء تفوح من ثيابه ، إنّه أراد أن يتوصل من خلال أبياته إلى تصوير البهت الذي يقع للمحب عند رؤيته لمن يحب فجأة ومما يصيبه بسبب ذلك ، وفي ذلك يقول ابن القيم : "وقد اختلف في سبب هذه الروعة والفزع والاضطراب ، فقيل : سببه أن للمحبوب سلطاناً على قلب محبه أعظم من سلطان الرعية ، فإذا رآه فجأة راعه ذلك كما يرتاع من يرى من يعظمه فجأة ، فإن القلب معظّم لمحبوبه خاضع له ، والشخص إذا فجئه المعظم عنده راعه ذلك" [٤٦] .

ومن هذه العلامات جود المرء ببذل كل ما كان يقدر عليه ممان كان ممتنعاً عنه قبل ذلك ؛ كل ذلك ليبدي محاسنه ويُرغِّب في نفسه . وهذه العلامات تكون قبل استعار نار الحب وتأجج حريقه ، وتوقد شعلته ، واستطارة لهبه ، فإذا تمكّن وأخذ مأخذه ، فحينئذ ترى الحديث سراراً ، والأعراض عن كل ما حضر إلا عن المحبوب جهاراً [٤٧] ، ولابن حزم أبيات جمع فيها كثيراً من هذه العلامات يقول [٤٨] :

أهوى الحديث إذا ما كان يُذكر لي فيه ويعبق لي عن عنبـــــر أرج
عيناي فيه وجسمي عنه مرتحـل مثل إرتقاب الغريق البر في اللُّجج
أغصّ بالماء إنْ اذكر تباعـــــده كمن تثاءب وسط النقع والوهـــج

ففي هذه الأبيات تأكيد لما ذكره من علامات من قبل ، ثم يذكر بعد ذلك من علاماته أنّ المحب يستدعي اسم المحبوب ، ويستلذ الكلام في أخباره ، ولا يرتاح لشيء كما يرتاح لها ، ومن هذه العلامات أيضاً حب الوحدة والأنس بالانفراد ، وبالسهر ، وقد اكثر الشعراء في وصفه ، وعلى طريقتهم سار ابن حزم ، فقال[٤٩] :

وهذا الليل فيك غدا رفيقـــــي بذلك أم على سهري معينـــــي
فليس إلى النهار لنا سبيـــــل وسهد زائد في كل حيـــــن
كأن نجومه والغيم يخفـــــى سناها عن ملاحظة العيـــــون

وهذا أمر اعتاده الشعراء ، وتعاوروا فيه المعاني ، ويظل المحبوب والمعذبون من أرباب القلوب يتغنون باسم الليل كلما أقبل ، وينتظرون ظلامه كلما أدبر وكأنهم يرون في سواده اشراقاً احلى في عيونهم

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

من شفق الصبح ، فيه يشتكي كل قلب جراحات في سويدائه ، وبيث آهاته ، فكان الليل قلب كبير تزاحمت فيه ألوان من الصخب واللهو والضجيج ، والشكوى والأنين ، وكأن نجوم السماء كلها تتناثر دموعاً من أجل ساهره الذي يرى في هدأة السحر ضمير الكون كله يرأف به في حنو ، ويسلمه لبحر من الحنان الدافئ ، ثم يشرق الصباح ، فيرى هذا الساهر نفسه مرة أخرى يعيش وسط ضباب الغربة والوحشة [٥٠] التي قال فيها امرؤ القيس[٥١] : **ألا أيّها الليل الطويل ألا انجلي بصبح ، وما الإصباح منك بأمثـــل**

ويذكر ابن حزم من علاماته الجزع الشديد والحمرة التي تغلب على المحب عندما يرى إعراض محبوبه عنه ، ونفاره منه وهجره له ، وفي ذلك يقول [٥٢] :

وجميل الصبر مسجـــــــون ودموع العيـــــن سارحـــــــة

ولابن زيدون بيت قريب له في مرارة الهجر ، يقول [٥٣] :

إنّني مُذْ هجرتنـــــــــــي لم أذقْ لـــــذّة الوســـــــــن

ويذكر من علاماته البكاء ، فمنهم غزير الدمع ، ومنهم جمود العين ، يقول [٥٤] :

دليل الأسى نار على القلب تلفح ودمع على الخدين يحمي ويسفـح
اذا كتم المشغوف سر ضلوعـه فإنَّ دموع العين تبدي وتفضـــح

وفي المعنى ذاته يقول قيس بن الملوح [٥٥] :

ولي كبد حرٌّ وقلـــب معـــــذب ودمع حثيث في الهوى غير جامد
وآية وجد الصَّب تهاطـــل دمعه ودمع شجي الصَّب أعدل شاهـــد

إن ابن حزم لم يزد على ما ذكره غيره من علامات الحب ، وقد أهمل تفصيل العلامات الخفية كموافقة المحبوب وإن ظلم ، وتصديقه وإن كذب ، والشهادة له وإن جار ، وغيرها ؛ ولربما هذا بسبب منهجه الظاهري ، فما تناوله بالتفصيل لم يكن إلا الظاهر من العلامات .

المطلب الثالث :- (بداية الحب وأسبابها عند ابن حزم)

لابد للحب من سبب يكون له أصلاً ، ويبتدئ ابن حزم بأبعد ما يمكن أن يكون من أسبابه من باب البداية بالسهل والأهون ، وهو يؤكد أنّه لو لم يشاهده لما ذكره لغرابته ، وهو مَنْ أحبَّ في النوم ، ويذكر في ذلك خبراً خلاصته أنّه دخل يوماً على أحد أصحابه فوجده مهتماً ، فسأله عما به ، فقص عليه الأمر ، وذلك أنّه رأى جارية في النوم فاستيقظ وإذا قلبه ذاهب في حبِّها وهو لا يعرفها ، فبيّن له قلة رأيه وأتهم بصيرته ؛ إذ حبَّ مَنْ لم يره قط ولا خُلق ، ولا هو في الدنيا [٥٦] . ويعد ابن حزم ذلك من حديث النفس واضغاثها ، وفي ذلك يقول [٥٧] :

يا ليت شعري من كانت وكيف سرت أ طلعت الشمس كانت أم هي القمر !
أظنّهـــا العقـــــل أبداه تدبـــــرُّه أو صورة الروح أبدتها لي الفِكـــر
أو صورة مُثِّلت في النفس من أملي فقد تخيَّـــر فـي إدراكها البصـــر
أو لم يكـــــن كل هذا فهي حادثـــة أتى بها سبباً في حتفـــي القـــدر

إنّ مجموع ما نراه في هذه الأبيات تساؤولات تصب في مصب واحد ، هو الإنكار على صاحبه ، وهي كيف جاءت ؟ وكيف وصلت ؟ أ هي شمس أم قمر في جمالها ؟ وفي نهاية الأمر يرجع كله لصورة اخترعها العقل في تدبّره ، أو جلبتها فكرة ، فتحيّر في ادراكها الفكر ، فتجسدت من حديث نفسٍ إلى رؤيا منام.

وقد تقع المحبة بالوصف من دون المعاينة ، وهذا أمر يترقى منه إلى جميع الحبِّ ، فتكون المراسلة والمكاتبة ، والهمّ والوجد والسهر ، فإن للحكايات ونعت المحاسن ، ووصف الأخبار تأثير في

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

النفس في غير قصد ، ومنه أيضاً سماع نغمتها من وراء جدار فيكون سبباً للحب واشتغال البال [٥٨] . ويؤكد ابن حزم أنَّ هذا قد وقع لغير واحد ؛ ولكنه يعده بنيان هارٍ على غير أساس ، فإنّ وقعت المعاينة يوماً فحينئذ يتأكد أمر هذا الحب أو يبطل بالكلية ، وفي ذلك يقول [٥٩] :

ويا من لامني في حب من لم يره طرفـــي
لقد افرطت في وصفك لي في الحب بالضعف
فقل : هل تعرف الجنة يوماً بسوى الوصـف

ويقول في استحسان النغمة دون وقوع العين [٦٠] :

قد حلَّ جيـــش الغرام سمعـــي وهو على مقلتـــــي يبـــــدو

وهذا أمر قد نبّه إليه القرآن الكريم ، قال تعالى : ((فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ)) [سورة الأحزاب : ٣٢] .

ويقول في مخالفة الحقيقة لظن المحب [٦١] :

وصفوك لي حتى إذا ابصرت ما وصفوا علمت بأنّـــه هذيـــان
فالطبل جلـــد فـــارغ وطنينـــه يرتاع منه يفـــرق الانســـــان

وفي هذين البيتين تشبيه تمثيلي رائع ، الجامع بين طرفيه قوة المسموع وقلة شأن المرئي .

ويقول في مطابقة الحقيقة لظن المحبوب [٦٢] :

لقد وصفوك لي حتى التقينـــــا فصار الظنّ حقاً فـــــي العيـــان
فأوصاف الجنـــان مقصِّـــــرات على التحقيق عن قدر الجنـــــان

نجد في هذين البيتين ضد ما أورد في بيتيه السابقين ، وهو يتحدث عن ظن دعا إليه كلام الواصفين ، وإذا بالظنِّ يتحول إلى حقيقة هي أنّ الواصفين قد قصّروا في وصفهم ، إذ لم يحيطوا بكل الصفات ، وكأنهم واصفو جنان محال أن يصفوا حقيقتها .

وكثيراً ما يكون لصدق الحب بالقلب من نظرة واحدة ، وقد يصل الأمر إلى أن يعشق المرء صورة لايعلم مَنْ هي ؟ ولا يدري لها اسماً ، ولا يعلم لها مستقراً [٦٣] . وفي ذلك يقول [٦٤] :

عيني جَنَتْ في فؤادي لوعة الفكر فأرسل الدمع مقتصاً من البصر
فكيف تبصر فعل الدمع منتصفـــاً منها بإغراقها في دمعها الـــدرر
لم ألقها قبل إبصاري فأعرفهـــا وآخر العهد منها ساعة النظـــر

إنّه يتوجه باللوم إلى عينه لما جنته عليه ، ويهدد العين بإغراقها بالدمع الغزير جزاء فعلتها حين أوقعته في حبِّ من لا عهد له بمعرفتها ، فما هي إلا نظرة واحدة ، نظرة اللقاء الأول ، والوداع الأخير . ولقد شكى الشعراء من هذه النظرة ، يقول عمر ابن أبي ربيعة [٦٥] :

يا نظرة مـــا نظـــرت موجعـــة لم أرها بعدهـــا ولم ترنـــي

وينتقل ابن حزم بعد ذلك إلى ذكر من لا يحب إلّا مع المطاولة ، فمن الناس من لا يحب إلا مع المطاولة وكثير المشاهدة ، وهذا الذي يوشك أن يدوم ويثبت ، فما دخل عسيراً لم يخرج يسيراً . ومنهم من إذا أحسّ من نفسه ابتداء الهوى أو توجس من نفسه بعض الميل ، استعمل الهجر وترك الالمام ؛ لئلا يزيد ما يجد فيخرج الأمر من يده [٦٦] ، وفي ذلك يقول [٦٧] :

سأبعد عن دواعي الحـــب إنـــي رأيت الحزم من صفة الرشيـــد
رأيت الحب أولـــــه التصـــدي بعينيك في أزاهير الخـــــدود
فبينا أنت مغتبـــــط مخلـــــى إذا قد صرت في حلق القيـــود

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

في هذه الأبيات نجد أنّ ابن حزم يحاول التحذير من أول الأمر ، ويصف البعد بأنه من الرشد المبعد عن كل سبب يوصلك أن تقع فيما تحذر منه ، فمن يخاف الوقوع في الحب عليه البعد عن أسبابه ، وأولها النظر في الوجوه ، ولاسيما الحساب منها ، فلربما وقعت فيما تحذر وأنت لا تشعر إلا وقد وقع الحذور .

ويطيل ابن حزم العجب من كل من يدعي الحب من نظرة واحدة ، ولا يكاد يصدقه ، ولا يعدّ هذا الحب إلا ضرباً من الشهوة ، ويصفه بأنه استطراف البصر الذي لا يجاوز الألوان ، فهذا سر الشهوة ومعناها على الحقيقة ، ولمثل هذا ينسب حب من يدعي حب اثنين ، فهو حب الشهوة وحسب [٦٨] . أما عن المحبة المطاولة فإنّه يكاد يجزم بأنها وحدها التي تدوم ، يقول [٦٩] :

محبة صدق لم تكن بنت ساعـة ... ولا وريت حين ارتياد زنادهـــا
ولكن على مهل سرت وتولــدت ... بطول امتزاج ، فاستقر عمادها
فلم يدن منها عزمها وانتفاضها ... ولم ينأ عنها مكثها وازديادهـــا

إنّه يؤكد في أبياته على صدق المحبة ودوامها واستقرار عمادها مع المطاولة ، ولعل خير شاهد في مثل هذا الموضع قصة قيس مع ليلى ، فقد كانا يجتمعان فيرعي الأغنام لهما يتحدثان وهما صغيران ، فلما شبّا وكَبُرا صار حبهما يزيد وينمو كل يوم وساعة ، فكانت النتيجة أن بلغ حب قيس لها مبلغه الذي اشتهر [٧٠] .

ويذكر ابن حزم من أحوال المحبين استحسان صفات في المحبوب ليست بمستحسنه عند الناس ، ولا هي مرضيّة في الجمال ؛ ولكنها صارت منتهى استحسان المحب لا يميل عنها إلى سواها ، فمَن كان في جيد حبيبه وقص لم يستحسن أغيداً بعد ذلك ، ومن كان حبيبه قصيراً لم يحب أو يستحسن طويلاً بعد ذلك ، ويؤكد ابن حزم بأن هذا الكلام عن أناسٍ لم قسط كبير في الإدراك والفهم [٧١] . وفي ذلك يقول [٧٢] :

منهم فتى كان في محبوبه وقص ... كأنما الغيد في عينيه جنّـــان
وكان منبسطاً في فضل خيرتـــه ... بحجة حقها في القول تبيـــان
إنّ المها ، وبها الأمثال سائـــرة ... لاينكر الحسن فيه الدهر إنســان
وقص ، فليس بها عنقاء واحـدة ... وهل تزان بطول الجيد بعـــران؟
وآخر كان في محبــوبه فـــوه ... يقول : حسبي في الافواه غـزلان
وثالث كان في محبــوبه قصـــر ... يقول : إنّ ذوات الطول غيـــلان

إن هذه الصفات ليست بمستحسنه عند الناس ؛ ولكن صارت عند هؤلاء المحبين منتهى الاستحسان والجمال ، ولا بان عنهم تفضيلها على ما هو افضل منها في الخليقة ، ولا مالوا إلى سواها ؛ بل صارت تلك الصفات المستجادة عند الناس مهجورة عندهم ساقطة لديهم إلى أن فارقوا الدنيا ، وانقضت أعمارهم حنيناً منهم إلى من فقدوه ، وألفه لمن صحبوه ، ولم يكن ذلك كله تصنعاً منهم ؛ بل طبعاً حقيقياً ، واختياراً لا دخل فيه ، ولا يرون سواه ، ولا يقولون في طي عقدهم بغيره [٧٣] .

المطلب الرابع :- (رسائل المحبين عند ابن حزم)

إن أول ما يستعمل طلاب الوصل وأهل المحبة في كشفهم لما يجدون إلى أحبتهم ، التعريض بالقول إما بقول بيت شعر ، أو طرح لغز ، أو تسليط كلام والناس يختلفون في ذلك على قدر إدراكهم ، وبحسب ما يجدونه من أحبتهم من نفار ، أو أنس ، أو فطنة، أو بلادة . ويروي ابن حزم في ذلك خبراً لطيفاً مفاده أنّ جارية وفتى كانا يتحابان فأرادها في بعض وصالها على ما لا يحل ، فهددته بأن تفضحه في الملأ

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

علانية فضيحة مستورة ، وبعد أيام حضرت الجارية مجلس بعض أكابر الملوك وأركان الدولة ، وفي جملة الحاضرين ذلك الفتى ، وفي المجلس مغنيات غيرها ، فلما انتهى الغناء إليها غنت بأبيات قديمة ، منها [٧٤] :

خضعتُ خضوع صَبٍّ مستكين ... له وذلك ذلـــــة مستهـــام
فصلني يا فديتك في حـــــلالٍ ... فما أهوى وصـــالاً في حـــرام

قال ابن حزم عن هذا [٧٥] :

عتاب واقع وشكـــــاة ظلـــم ... اتت من ظالـم حكـــم وخصـــم
تشكّتْ ما بها لم يـــدر خلـــق ... سوى المشكو ما كانت تُسمِّـــي

ليس يُخفى على أحدٍ ما في هذا التعريض من جمال الشعر ، وفطنة صاحبته ، وذكائها ، وجميل تصوير ابن حزم لذلك ، فقد وصفه بالعتاب والشكوى ، وقد أتت من شخص وصفه بالظالم والحكم والخصم ، وسط جمع لم يعلم سوى المشكو وحده من كانت تسمي وتقصد . ولعل ابن حزم أراد بذكر هذا الخبر الحضّ على الوصال الحلال ، وترك الحرام ؛ وبذلك يكون للاتجاه الشرعي تأثير في شعره في الحب . ويذكر ابن حزم أنّ اشارة العين [٧٦] ، والمراسلة بالكتب قد تقوم مقام التعريض بالقول ، قال : "ولقد رأيت أهل هذا الشأن يبادرون لقطع الكتب ، وبحلها في الماء ؛ فربَّ فضيحة كانت بسبب كتاب " [٧٧] ،وفي ذلك يقول [٧٨] :

عزيز علي اليوم قطع كتابكـــــم ... ولكنه لم يُلفَ للـــود قاطـــــعُ
فآثرت أن يبقى وداد ويمحـــــي ... مداد فإنّ الفرع للأصل تابـــــعُ
فكم من كتاب فيه ميتة ربِّـــــه ... ولم يدره إذ نمقته الأصابـــــعُ

وتعود العاطفة الجامحة لابن حزم فيرأف لحال المحبين ، ويذكر أحوالهم مع الكتب ، فلا يهون قطع المحب كتاب محبوبه ؛ ولكن بقاؤه قد يكون فيه الفضيحة التي لا تحمل عواقبها ، ويؤكد في أبياته بأن العبرة ، و مسرة القلب الحقيقية هي بالوداد والمحبة ، وليس بمداد الكتاب .

ويصف فرحة جواب الكتب ، ويذكر أحوال المحبين مع الكتب ومدادها [٧٩] :

جواب أتاني من كتاب بعثتـــــه ... فسكّن مهتاجاً وهيّج ساكنـــــا
سقيتُ بدمع العين لما كتبتـــــه ... فعال محب ليس في الود خاننـــا
فما زال ماء العين يمحو سطـوره ... فيا ماء عيني قد محوت المحاسـنا
غدا بدموعي أول الخط بيننـــــا ... وأضحى بدمعي آخر الخط بائنـــا

يذكر في هذه الأبيات ما بينه وبين حبيبه من تبادل الكتب بالمراسلة ، فها هو يأتيه الجواب من محبوبه ، فيسكن ما يجد من ألم البعد ، ويهتاج الشوق لمزيد الوصال ؛ ولكن لا سبيل إلى ذلك ، لذلك تجد الدموع الطريق سالكاً أمامها فتختلط بكتاب الحبيب تمحو وداده ، وكأنها تعوّض الوصال المفقود باختلاطها بالمداد ، فتلتهمه ماحية أثره ، ويستفيق المحب من سُكرة نشوة الكتاب ، فيعاجل عتب الدمع بمحو محاسن الحبيب التي جسدها المداد .

ويبدو أن طريقة الكتب والمراسلات كانت سائدة في الأندلس ، وفي هذا المعنى تقول أم الهنا [*] [٨٠] :

جاء الكتاب من الحبيب بأنـــه ... سيزورني فاستعبرت أجفانـــي
غلب السرور عليّ حتى أنّـــه ... من عظم فرط مسرتي أبكانـــي
يا عين صار الدمع عندك عادة ... تبكين في فرح وفي أحـــزان

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

ويقع في الحب بعد ذلك ادخال السفير ، ويجب تخيره استجادته ، فهو دليل عقل المرء وبيده حياته وموته ، وستره ، وفضيحته بعد الله تعالى ، يقول في صفاته [٨١] :

رسولك سيف في يمينك فاستجد حساماً ولا تضرب به قبل صقله
فمن يك ذا سيف كهامٍ فضـــره يعود على المعنى منه بجهلـه

إنّه يركز في هذه الصفات على أمر يعده الأهم ، وهو الثقة التي يجب أن تترسخ عن تجربة محققة ، وإلا فإن الضرر سيكون حاضراً .

ويذكر ابن حزم من اصنافهم : الخامل الذي لا يؤبه له ، والطبيبة ، والحجامة ، والعجائز ذوات العكاكيز ، وهو يذكر بقرطبة التحذير للنساء المحدثات نت هذه الصفات حيثما رأينها [٨٢] ، وصفات السفراء قد ذكرها شعراء أندلس ، يقول ابن هانئ [٨٣] :

قد كتبنا قطعة من جـــــراب وجعلنا المقال غير صـــــواب
ودعوناك لا لتجمع شمـــــلاً وبعثنا ابن دأبةٍ بالكتـــــاب

ولابن زيدون شعر وكأنه يشكو فيه عدم وجود السفير ، يقول [٨٤] :

لعمري لئن قلت رسائلـــــي لأنت الذي نفسي عليه تـــذوب
فلا تحسبوا أنّي تبدلت غيركـم ولا أنّ قلبي من هواك يتـــوب

وقد يكون الكتمان وسيلة من وسائل المحبين ، تخالف ما ذكرنا من الرغبة في التصريح ، وقد يكمن الكتمان والتمويه في أول الأمر على غير ذي الحس اللطيف ، وأمّا بعد استحكامه فمحال [٨٥] . وفي وصف من كتم يقول ابن حزم [٨٦] :

درى الناس أنّي فتى عاشـــق كئيب معنى ولكن بمـــــــن ؟
إذا عاينوا حالتـــي أيقنـــوا وإنْ فتّشوا رجعوا في الظنـــن
كخطٍ يُرى رسمـــه ظاهـــرا وإن طلبوا شرحه لم يبـــــن
كصوت حمـــام على أيكـــةٍ يرجع بالصوت في كل فـــــن
تلدُّ بفجـــواه أسماعنـــــا ومعناه مستعجـــم لم يبـــن
يقولون : بالله سمِّ الـــــذي نفى حبّه عنك طيب الوســـن
وهيهات دون الذي حاولـــوا ذهاب العقول وخوض الفتـــن
فهم أبداً في إختلاج الشكوك بظنٍ كقطعِ وقطعِ كظـــــنّ

إنّ ابن حزم في أبياته هذه كأنه يروي لنا تجربة ذاتية حقيقية ، ونرجح هذه التجربة ، فالعاطفة التي نجدها في هذه الأبيات لا تدل على غير ذلك ، وذكر أحوال مَنْ حوله كذلك ، فإخباره عنهم إخبار مَنْ جرّب ما وقع منهم فعلاً ، إنّهم يرون من أحواله وتغيّر أموره ما ينبئهم بحبه ، ولكن لا أحد يعلم جهة هذا الحب ، و مَن المحبوب ، إنهم لما يرونه من سوء حاله موقنون بأنه محبٌّ ؛ لكنهم لما أعجزهم البحث عن الحبيب عاد اليقين عندهم ظناً ، كخطٍ يُرى رسمه ، ولا يبين عن شيء ، أو كصوت حمام يرجّع بصوته ، ولا أحد يفهم لهذا الصوت معنى ، والصوت مسموع ، مستلذ بسماعه من يسمعه . إنّهم لما أعياهم البحث ، أقسموا عليه كي يسمي الذي أفقده طيب الرقاد ، وألجأه إلى مرّ السهر ؛ ولكن لا سبيل إلى الذي حاولوه ، فدونه ذهاب العقول، وخوض الفتن ، فأصبحوا بعد يأسهم منه وسط بحر من الشكوك تتلاطم أمواجه ، ساعةً بظنٍّ ، وأخرى بيقين.

وفي أشعار ابن حزم التي أوردناها في هذا المطلب نلاحظ فيها قوة العاطفة وعميقاً في التجربة لا يمكن أن تصدر إلا عن صاحبها الذي مر بها ؛ ولهذا يمكننا القول بأنه رجل قد تعددت تجاربه في الحبِّ ،

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

واستخدم وسائل المحبين الي ذكرها ، فليس عمق التصوير وتدفق العاطفة إلا دليلاً على صدق التجربة وتحققها فعلاً .

المطلب الخامس :- (الأضداد في الحب عند ابن حزم)

وينقسم إلى :- **أولاً : الأضداد المذمومة عند ابن حزم**

ثانياً : الأضداد المحمودة عند ابن حزم

أولاً : الأضداد المذمومة عند ابن حزم : أول هذه الأضداد العاذل ، وضده الصديق المساعد . يقول ابن حزم: "والعذال أقسام : فأفضلهم صديق قد اسقطت مؤونة التحفظ بينك وبينه فعذله أفضل من كثير المساعدات ، وهي من الحظ والنهي وفي ذلك زاجر للنفس عجيب ، وتقوية لطيفة لها عرض ... ثم عاذل زاجر لا يفيق أبداً من الملامة ، وذلك خطب شديد وعبء ثقيل ، ووقع لي مثل هذا" [٨٧] .

ويكون العذل أحب شيء لمن اشتد كلفه وعظم حبه ، حتى يكون العذل أحب شيء إليه ؛ ليرى العاذل عصيانه ، ويستلذ مخالفته ويحصّل مقاومته اللائمة ، وغلبته إياه كالملك الهازم لعدوه ، والمجادل الماهر لخصمه [٨٨] . يقول [٨٩] :

أحب شيء إلي اللـــوم والعـــذل ... كي اسمع اسم الذي ذكراه لي أمـــل
كأنني شارب بالعـــذل صافيـــة ... وباسم مولاي بعد الشرب انتقـــــل

إنّنا نراه يعلل حب العذل تعليلاً يتسم بقوة الحجة والعاطفة معاً ، فالعاذل أول ما يقدِّم له من خدمة أن يجعله يتلذذ بسماع اسم محبوبة ؛ فتأخذه نشوة تسعده ، وتعطيه مزيد ثقة بنفسه . ولقيس بن الملوح جواب لطيف لمن عذله [٩٠] :

ما بال قلبك يا مجنون قد هلعـــا ... من حب من لا ترى في وصلها طمعـاً
الحب والعشق سيطا من دمي لهما ... فأصبحا في فؤادي نابتين معـــــا

ويقول جميل بثينة [٩١] :

ألا يا غراب البين ، فيمَ تصيـــح ؟ ... فصوتك مشيـــن إلـــى قبيـــــح
وكل غداةٍ ، لا ابا لك تنحـــــي ... إليّ ، فتلقاني ، وأنـــت مشيـــح

ويقول [٩٢] :

وعاذلين الحوا في محبتـــــها ... يا ليتهم وجدوا مثـــل الذي أجـــد
لما اطالوا اعتابي فيك ، قلتلهـــم ... لا تكثروا ، بعض هـذا اللوم واقتصدوا

ويقول عمر بن أبي ربيعة [٩٣] :

يا أيها العاذل في حبهـــــا ... لست مطاعاً أيهـــا العـــــاذل
أنت صحيح من جوى حبهـــا ... وحبها لـــي سقـــم داخـــل

ومن هذه الإستشهادات البسيطة بشعر الشعراء الآخرين ، نلاحظ بأن موقف الشعراء من العاذل نفسه، وكأنهم في بيئة واحدة ، وعاذلهم واحد . وهذا أمر قد تكرر معنا ، فإن ابن حزم وإن لم يأتِ بجديد في هذه المعاني ، فإنّه اثبت اتحاد هوية الشعر العربي بين المشرق والمغرب . فهويته واحدة ، وكأن البيئة واحدة برغم المسافات .

ومن الأضداد في الحب الهجر وضده الوصل . والهجر أنواع : فهناك هجر تحفّظ من رقيب ، وهجر يوجبه التدلّل ، وهو ألذّ من كثير الوصال ، وهجر عتاب ؛ لذنب يقع من المحب ، وفيه بعض الشدّة ؛ لكن فرحة الرجعة وسرور الرضى يعدل ما مضى ، ثم هجر يوجبه الوشاة ، وآخر يوجبه المحبوب بميل

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

إلى غير المحب ، ثم هجر القلى ، وهنا ضلت الأساطير ، ونفدت الحيل ، فمعظم البلاء ، وهو الذي خلّى العقول ذو اهل [٩٤] . يقول ابن حزم [٩٥] :

لعلك بعد عتبك أن تجـــــودا ... بما منه عتبت وأنْ تزيـــــــدا
فكم يوم رأينا فيه صحـــــواً ... وأسمعنا بآخره الرعـــــودا
وعاد الصحو بعد كما علمنـــا ... وأنت كذاك نرجو أن تعـــــودا

إنّه ينتظر من محبوبه الجود بالوصل وترك ما منه عتب وهجر ، وهو يتوسل إليه بالجري على سنن الكون ، فكم يكون أول اليوم صحواً صافياً ثم ما تلبث الرعود أن تقطع كل هدوء وصمت ، ويذهب صفاء السماء بتلبد الغيوم ، ثم ما تلبث أن تصفو السماء ويعود الصحو كما كان ، وهو إنما يطالب بذلك ويتمناه منه .

ويقول [٩٦] :

هجرتُ من أهواه لا عن قلـــى ... يا عجباً لعاشق هاجـــــــر
لكنّ عيني لم تطق نظـــــرة ... إلى محيا الرشا الغـــــــادر
فالموت أحلى مطعماً من هوى ... يُباح للوارد والصـــــــادر
وفي الفؤاد النار مذكيَّـــــة ... فأعجب لصَبٍ جزع صابـــــر
وقد أباح الله في دينـــــه ... تقية المأسور للآســـــــر
وقد احَلَّ الكفر خوف الـــردى ... حتى ترى المؤون كالكافـــــر

فهذا ليس هجراً عن قلى ، ولكن بسبب عدم احتمال انصراف المحبوب إلى غيره وهو أمر يؤكده المحبُّ بأنّ الموت ألذُّ طعماً من حبٍّ مباح لكل من يرد ويصدر ، ففيه إباء من المحبِّ ؛ ولكنه هجر يذكي نار القلب ، فهذا الهجر وإن أبداه صاحبه وتكلّف أسبابه ؛ ولكنه تكلف كتقية المأسور لآسره ، وككفر مؤمن متمسك بإيمانه ؛ ولكنه كفر باللسان دون ما وقر في القلب . وفي هذا تصوير دقيق واحساس عميق من ابن حزم .

ويقول [٩٧] :

معهود أخلاقك قسمـــــــان ... والدهر فيك اليـــوم صنفـــــان
فإنّك النعمان فيما مضـــــى ... وكان للنعمـــان يومـــــــان
يوم نعيم فيه سعد الـــــورى ... ويوم بأســـاء وعـــــــدوان
فيوم نعماك لغيري ويـــــــو ... مي منك ذو بـؤس وهجـــران
أ ليس حبي لك مستأهـــــــلاً ... لأن تجازيـــه بإحســـــان ؟

إنّه يقول لمحبوبه : على نوعين من الأخلاق قد جبلتَ وعهدتهما فيك ، فلك في كل يوم خلق ، فيوم لحميد أخلاقك وآخر لظلمك وعدوانك ، فإنّك كالنعمان الذي كان له يومان كيومك ، فيوم نعيم وسعادة ، أمّا الآخر فهو بؤس وعدوان ، وقد جعلت سيء أيامك لي ، فليس لي منك نصيبٌ غير الهجر ، ولستُ أنال منك غير مرارة قد جلبها عليَّ حبك الذي ما أنصفتني فيه ؛ لأنك قد جعلت كل خلق حسن فيك ، وكل جميل وصلٍ نصيباً لغيري ، ولست بذلك ذو عدل ، ولو كنت كذلك لجازيتني بإحسان ، وفي مثل ذلك المعنى يقول قيس بن الملوح متصبّراً [٩٨] :

وما هجرتك النفس يا ليل إنهـــا ... قلتك ولكن قلَّ منك نصيبهـــا
فيا نفس صبراً لستِ والله فاعلمي ... بأول نفسٍ غاب عنها حبيبهـــا

يقول ابن حزم [٩٩] :

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

سقى الله أياماً مضت ولياليـــــا تحاكي لنا النيلوفر الغض في النشر
فأوراقه الأيام حسناً وبهجـــــة وأوسطه الليل المقصِّر للعمـــــر
لهونا بها في غمرة وتآلـــــف تمر فلا تدري وتأتي فلا نـــــدري
فأعقبنا منه زمان كأنـــــــه ولاشك حسن العقد أعقب بالغـــدر

إنّها الشكوى من الهجر ، إنّه الحنين إلى أيام خلت أُعقبت بالهجر ، اعقبت بالعذر ! لقد شبّه الأيام والليالي بالنيلوفر ، وهو تشبيه أندلسي صرف ، يكشف عن تغلغل موضوع الطبيعة في نفوس الشعراء الأندلسيين ، وتجلّى هذا بصفة خاصة في إحساس ابن حزم العميق بها ، فزهرة النيلوفر لخضرتها ويناعتها ولدكانة وسطها ، شبهها ابن حزم بالأيام في الحسن والبهجة ؛ ولكن وسطها لدكانتها الليل المقصّر للعمر ، أو لنقل الماضي مشرق يانع أما الحاضر فأسود كئيب ، وكل ذلك أراد قوله ابن حزم .

ومن الأضداد في الحب الغدر وضده الوفاء . والغدر من ذميم الصفات ، وأما المقارض بالغدر على مثله ، وإن استوى معه في حقيقة الفعل ، فليس بغدر ، ولا هو معيب والله _عزّ وجلّ_ يقول : (وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا) [سورة الشورى : ٤٠] . وبسبب كثرة وجود الغدر في المحبوب استغرب الوفاء منه ، يقول ابن حزم [١٠٠] :

قليل وفاء مَنْ يهـــوى يجـــلُّ وعظم وفاء من يهوى يقـــــل
فغادرة الجبان أجـــلّ ممـــــا يجيء به الشجاع المستقـــــل

إن المحبوب يُتكثر منه قليل الوفاء ، بينما المحبُّ وإنْ زاد من الوفاء وأكثر ، فلا يُرى وفاءه إلا قليلاً! وهذه الصورة من الوفاء قد مثّل لها ابن حزم خير تمثيل بإستعظام الشجاعة النادرة من الجبان ، وكأنها أجل وأعظم من شجاعة الشجاع .

ويذكر ابن حزم صورة أخرى من صور الغدر القبيحة ، وهي أنْ يكون للمحب سفير إلى محبوبه ، يستريح إليه بأسراره ، فيسعى حتى يقلبه إلى نفسه ، وفيه يقول [١٠١] :

أقمتُ سفيراً قاصداً في مطالبـــي وثقتُ به جهلاً فضـرب بينـــــا
وحلَّ عـــرى ودي وأثبـــت ودّه وأبعد عني كلَّ ما كان ممكنـــــا
فصرتُ شهيداً بعد ما كنت مشهـداً وأصبحت ضيفاً بعد ما كنت مضيفـاً

وهذه صورة من الغدر انقلب فيها المحب شاهداً ، والسفير حبيباً ، والمحبوب حبيباً للسفير ؛ إنها الثقة في غير موضعها ، قد جاءت بأقبح صورة من صور الغدر ، فحل السفير عقد الحبيب ونقضها ، وأقام محلها عرى جديدة لنفسه .

ثانياً : الأضداد المحمودة عند ابن حزم : وينقسم بدوره إلى :

أ_الصديق المساعد : وهو من الأسباب المتمناة في الحب ، أن يهب الله عز وجل للإنسان صديقاً مخلصاً ، لطيف القول ، بسيط الطول ، حسب المأخذ ، دقيق المنفذ ، متمكن البيان ، مرهف اللسان ، جليل الحلم ، واسع العلم ، قليل المخالفة ، عظيم المساعفة ، محمود الخلائق ، مكفوف البوائق ، مشهور الوفاء ، مبذول النصيحة ، رحب الذراع ، واسع الصدر .

وبعد ذكر هذه الصفات المحمودة كلها يوصي ابن حزم إن ظفر المرء بصديق هذه صفاته أنْ يشدّ عليه بيديه شد الضنين ، وأن يمسك به إمساك البخيل ؛ فمعه تتجلى الأحزان ، ويقصر الزمان ، وتطيب الأحوال ؛ لذلك اتخذ الملوك الوزراء ليخففوا عنهم بعض ما حملوه من شديد الأمور . ولقد كان بعض المحبين لعدمه هذه الصفة من الاخوان أقام الوحدة مقام الأنس ، وكان ينفرد في المكان النازح عن الأنيس ،

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

ويناجي الهوى ، ويكلّم الأرض ، ويجد في ذلك راحة كما يجد المريض في التأوه ، والمحزون في الزفير ؛ لأن الهموم إذا ترادفت في قلب ضاق بها [١٠٢] .

ب_الوصل : وهو خط رفيع ، ومرتبة عالية ، وسعد طالع ؛ بل هو الحياة المجددة ، والعيش السني ، والسرور الدائم ، فليس يعدله الدنو من السلطان ، ولا المال المستفاد ، ولا الوجود بعد العدم ، ولا الأوبة بعد طول الغيبة ، ولا الأمن من بعد الخوف ، ولا التروح على المال ، من الموقع في النفس ، ما للوصل ، ولاسيما بعد طول الإمتناع ، وحلول الهجر [١٠٣] . وفي ذلك يقول ابن حزم [١٠٤] :

وسائلٍ لي عما لـي من العمـــــر ... وقد رأى الشيب في الفودين والعذر
أجبته ساعة لا شـيء أحبـــــه ... عمراً سواها بحكم العقل والنظـــر
فقال لي : كيف ذا ؟ بينه لي ، فقلد ... أخبرتني أشنع الأنباء والخبـــــر
فقلت : إنّ التي قلبي بها علـــق ... قبلتها قبلة يوماً على خطـــــر
فما أعدّو لو طالت سنيّ ســـوى ... تلك السويعة بالتحقيق من عمـــري

يا له من تصريح بلذة الوصل مع خالط الرأس من الشيب ! ويؤكد ابن حزم ذلك كله بحكم العقل والتحقيق والنظر ، وفي هذا سير على طريقة الفلاسفة في اثبات ما يريدون اثباته ، وإن ذلك كله من وصال وتقبيل ، لا يتفق مع ما اورده ابن حزم نفسه في كتابه هذا ، في بابي : (فضل التعفف وقبح المعصية) . وهو يسير مع من سار على النهج نفسه في تمني ساعة الوصال ، وإنّها تعدل ما تعدل عند أصحابها ، يقول ابن زيدون في ذات المعنى [١٠٥] :

بالله خـــذ من حياتـــي ... يوماً وصلنـــي ساعـــة

ومن لذيذ معاني الوصل المواعيد ، يقول ابن حزم [١٠٦] :

أسامر البدر لمّا أبطـــأت وأرى ... في نوره من سنا إشراقها عرضـــا

وهو تشبيه لطيف ، فهو يؤكد أنّ خير من يسامره ، وهو ينتظر حبيبته ، القمر ؛ لأن بينهما صلة قد عرفها هو حين رأى شيئاً من سنى إشراقها في نور القمر ، وهي المبالغة لا تخفى ! .

ويقول في لذة الوصل [١٠٧] :

جرى الحب منّي مجـرى النَفَس ... وأعطيت عينـــي عنان الفـــرس
ولي سيد لم يـزل نافـــراً ... وربتما جاد لـــي في الخُلـــس
فقبلتـــه طالـــباً راحـــة ... فزاد أليلا بقلبـــي اليـــبس
وكأن فؤادي كنبت هشيـــم ... يبس رمى فيـــه رامٍ قبـــس

لقد لصق الحب في نفسه لصوقاً جعله يرى حياته فيه ، وفي غيره موته ، فهو يشبهه بجريان النفس ، ويؤكد عدم صبره بغض البصر عن محبوبه فأطلق لعينيه عنان الفرس ، فلا يمسكه عن النظر لمحبوبه الذي كنّى عنه بالسيد لصيرورة أمره في يديه وهو مع ذلك نافر مباعد ؛ ولكنه قد يجود ببعض الوصل في غفلة من أعين الناس ؛ ولكنه هذا الوصل يزيد الداء ، كمن يريد أن يشرب ماء البحر ليروي عطشه ولا يزداد إلا عطشا ! ، لقد أصبح قلبه كزرع هشيم يابس ، أُلقيت فيه شعلة نار أحرقته . ويقول عمر بن أبي ربيعة في معنى قريب من هذا [١٠٨] :

الموت خير من حياة كـــذا ... لا أنا موصول ولا ذاهـــل

ويقول في لذة الوصل الخفي [١٠٩] :

إنّ للوصل الخفي محـــلاً ... ليس للوصل المكين الجلـــيِّ
لذة تمزجهـــا بإرتقـــاب ... كسير في خـــلال النقـــيِّ

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

ولا يخفى ما في هذين البيتين من تزيين لطعم الوصل إذا امتزج بخوف الرقيب ، وابن حزم قبل غيره يدعو إلى الوصال الذي شرعه الله عز وجل ! . يقول ابن حزم : "ليس بين الفضائل والرذائل ، ولا بين الطاعات والمعاصي إلا نفار النفس وأُنسها فقط ، فالسعيد من أنست نفسه بالفضائل والطاعات ، ونفرت عن الرذائل والمعاصي ، والشقيّ من أنست نفسه بالرذائل والمعاصي ، ونفرت عن الفضائل والطاعات ، وليس ها هنا إلا صنع الله تعالى وحفظه" [١١٠] . ويقول ابن القيم : "هذا باب ، إنّما يدخل منه رجلان : أحدهما من تمكن الإيمان من قلبه بالآخرة وما أعدّ الله فيها من الثواب والعقاب لمن عصاه ، فآثر أدنى الفوتين واختار أسهل العقوبتين ، والثاني رجل غلب عقله على هواه ، فعلم ما في الفاحشة من المفاسد ، وما في العدول عنها من المصالح ، فآثر الأعلى على الأدنى ، وقد جمع الله سبحانه وتعالى ليوسف الصديق (صلوات الله وسلامه عليه) بين الأمرين فاختار عقوبة الدنيا بالسجن على ارتكاب الحرام" [١١١] .

وليس يخفى ما هنا من تناقض وقع لابن حزم ، حين زيّن اللذة التي يخشى صاحبها العباد ، ولا يخشى ربُّ العباد ، وهذا التناقض الذي ظهر واضحاً مع النص الذي نقلناه من كتابه (الأخلاق والسِّير) نجده بصورة أوضح في كلامه عن قبح المعصية _الذي سنأتي عليه_ .

ج_الوفاء : وهو من حميد الغرائز ، وكريم الشيم ، وفاضل الأخلاق في الحب وغيره ، وإنه من أُولى الدلائل، وأوضح البراهين على طيب الأصل ، وشرف العنصر ، وأول مراتبه أن يفي الإنسان لمن يفي له ، وهذا فرض لازم وحق واجب على المحب والمحبوب ، لا يحول عنه إلا خبيث المحتد لا خلاق له ولا خير عنده . والمرتبة الثانية هي الوفاء لمن عذر ، وهي للمحبِّ دون المحبوب ، وليس للمحبوب ها هنا طريق ولا يلزمه ذلك ، وهذه المرتبة من الوفاء إنّما تكون لجلد قوي ، واسع الصدر ، حر النفس ، عظيم الحكم ، جليل الصبر ، حصيف العقل ، سالم النية . والوفاء يُحمد ممن يقدر على تركه ، ثم مرتبة ثالثة وهي الوفاء مع اليأس ، وبعد حلول المنايا ، وإن الوفاء في هذه الحال لأجلُّ وأسمى منه في الحياة ، ومع رجاء اللقاء [١١٢] .

يقول ابن حزم [١١٣] :

ولى ، فولى جميل الصبر يتبعه ... وصرح الرمح ما تخفيه أضلعه
جسم ملول وقلب آلف فإذا ... حل الفراق عليه فهو موجعه
لم تستقر به دار ولا وطن ... ولا تدفأ منه قط مضجعه
كأنما صيغ من رهو السحاب فما ... تزال ريح إلى الآفاق تدفعه
كأنما هو توحيد تضيق به ... نفس الكفور فتأبى حين تودعه
أو كوكب قاطع في الأفق منتقل ... فالسير يغربه حيناً ويطلعه

منذ لحظة التولي والجفاء يعلن ابن حزم الوفاء ، وفاء يغذيه جميل الصبر ، وقد تولّى الرمح الإعلان عمّا يكنّه الصدر الذي يعتصر ألماً للفراق ، فالقلب ثابت على الأُلف ، وإن كان الجسد قد تقلب بتقلب الأيام والأحوال التي مرت بابن حزم وحفل بها تاريخ حياته ؛ ولكن ابن حزم لم يتغير له وفاء . وكذا الشعراء غير ابن حزم يعدون الوفاء أهلاً لأن يفتخر به أصحابه ، يقول عمر ابن أبي ربيعة [١١٤] :

حبلها عندنا متين وحبلي ... عندها واهن القوى أنقاض

وفي قصيدته يستمر ابن حزم بإخبارنا عن أحواله ، فلم تستقر به دار ولا وطن ، ولم تشبع عيناه من نوم أبداً ، فقلبه معلق بالآفاق يسعى ويسمو لكل عالية ، فكأنه صيغ من رهو السحاب ، وقد كنّى عن شدة عزمه بالريح التي تدفع السحاب . وكأنه من كثير تنقله توحيد قد ضاقت به نفس كافرة ، فتأبى له إلا الوداع ، ولا يقر لها قرار مع هذا التوحيد . وكأنه في الوقت نفسه كوكب سريع التنقل ، فحيناً يطلع وحيناً يغيب في

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

سرعة من تقلب حاله بين طلعة ومغيب . وهذه تشبيهات قد تعددت وجوهها ، وارتبطت بخيط دقيق مشترك يجمع بينها ، ومثل ذلك لا يقدر عليه إلا شاعر قد تمكّن من الشعر ، وأرسى قواعداً له فيه ، وبهذا وبغيره الذي تقدم بين أيدينا يتضح لنا قوة شاعريته .

المطلب السادس :- (آفات الحب عند ابن حزم)

ومن آفات الحب الرقيب ، والرقباء أقسام فمنهم مثقل بالجلوس غير متعمد ، ومنهم قد أحس من أمرهما بطرف ؛ لذا فهو يريد أن يعرف حقيقة ذلك ، ثم رقيب على المحبوب ، وهذا الذي ذكره الشعراء في أشعارهم ، ومن أشدهم الرقيب الذي أُمتحن بالعشق قديماً [١١٥] ، وفي ذلك يقول ابن حزم [١١٦] :

رقيب طالما عـــرف الغرامـــا ... وقاسى الوجد واقتنـــــع المنايـــا
ولاقى في الهـــوى ألماً أليمـــاً ... وكاد الحبُّ يـــــورده الحِمامـــا
وأتقن حيلة الصَّـــبِّ المعنّـــى ... ولم يضع الإشـــارة والكلامـــا
وأعقبه التسلي بعـــد هـــذا ... وصار يرى الهوى عـــاراً ودامـــا
وصُيِّر دون مَنْ أهـــوى رقيبـــاً ... ليبعد عنه صبـــاً مستهـــامـــا
فأنيُّ بليـــةٍ صبـــتْ علينـــا ... وأيُّ مصيبةٍ حلـــت لمـــامـــا

وفي هذه الأبيات يحدثنا ابن حزم عن هذا الرقيب الذي كان يحتال لنفسه الحيل ؛ ليتوصل بها إلى ما يريد ، فلا شك أنّه عارف لكل فعل ، ومتوقعه قبل حدوثه ، فما أسهل الرقابة عليه ؛ وهو كان يقاسي ما يقاسيه هؤلاء الذين صار عليهم رقيباً ؛ بل رقيب تقف أمامه كلُّ الحيل ، لأنه الخبير بها .

ومن آفات الحب الواشي ، وأكثر ما تكون الوشاية إلى المحبوب ؛ لأنه ليس للواشي طريق إلى المحبِّ [١١٧] ، ويصف ابن حزم تلذذ الواشي بوشايته بقوله [١١٨] :

عجبتُ لواشٍ ظلَّ يكشـف أمرنـــا ... وما بسوى أخبـــارنا يتنفـــــس

إنّه واشٍ ليس له شغل شاغل غير تتبع أخبارهما قد أفنى وقته كلّه بكلام الوشاية ؛ إذ لا بضاعة لديه سواها ، وماذا عليه لو أمسك ؛ فهو لا يصيبه شيء من لوعةٍ ، أو عناءٍ ، أو تعب ؛ إلا تعباً قد جلبه لنفسه ، وأضرَّ به غيره ، وهو الوشاية .

ومن آفات الحب البَيْن ، وقد علمنا أنّه لابد لكل مجتمع من افتراق ، ولكل دانٍ ثناء ، وتلك سُنّة الله _عزّ وجلّ_ في العباد ، حتى يرث الأرض ومَن عليها ، وأشدُّه ما يكون بالرحيل وتباعد الديار ، ولا يكون من الأوْبة فيه على يقين خبر ، ولا يحدث التلاقي ، وهو خطب موجع ، وهو الذي قالت فيه الشعراء كثيراً[١١٩] ، ويقول ابن حزم [١٢٠] :

وذي علّة أعيا الطبيـــب علاجهـــا ... ستوردني لاشك منهـــــل مصرعـــي
رضيت بأن أضحـــى قتيـــل وداده ... كجارح سمٍ في رحيـــــق مشعشـــــع
فما الليالي ما أقـــلَّ حيـــــاءها ... وأولعها بالنفس من كل مولـــــــع !

ويقول [١٢١] :

غنيت عن التشبيه حسناً وبهجـــة ... كما غنيت شمس السماء عن الحلـــــي
عجبتُ لنفسي بعده ، كيف لم تمت ! ... وهجرانه دفني وفقدانـــــه نعيـــي

كيف يداوي طبيب علة لا يعرف سببها ، ولا يعرف دواءها ؟ وهو في شكواه منها موقف بأن مصرعه بهذه العلة التي أعيت الطبيب ؛ ولكنه يرضى ويفرح لميتة سببها حبه لحبيبه ، فهو يستلذ بهكذا ميتة كمن يجّرع سماً وصنع في عسل ، فما درى مرارة السم من حلو العسل ، ثم يعود لائماً الزمان وتقلباته ، فقد

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

افترق عن حبيبه الذي يراه أكمل من أنْ يحتاج إلى زينة ؛ بل هو الزينة بعينها ، إنّه الشمس في كبد السماء ! ومن يفارق هكذا حبيب حُقَّ له أنْ يموت ؛ لذا فهو يؤكد شدّة عجبه من بقائه حياً .

وإذا كان البين بتلك الشدة والقسوة ، وإنّه ليتفطر له القلب ، فإنّ فيه حلاوة لا تكاد توجد ساعة الوصل، وهذا ما يُؤكده ابن حزم [١٢٢] :

يوم الفراق لعمري لستُ أكرهــه ... أصلاً ، وإنْ شئت شمِّل الروح عند جسدي
ففيه عانقتُ مَنْ أهوى لا جــزع ... وكان من قبله إنْ سيــل لـــــم يجــد
أ ليس من عجب دمعي وعبرتها ... يوم الوصال ليـــوم البيـــن ذو حسـد

إنّه يؤكد كلامه بكل وسيلة ، وهو يقسم على ذلك ، مصرّحاً بما هو خلاف المعهود ، بأن عناق يوم الهجر ، ودموعه وعبراته يجسد يوم الوصل عليها ! ولا ندري كنه اللذة هذه و أسبابها ، فلربما ظنت النفس أنْ لا سبيل لعزائها بالفراق ! لا بإدعاء أنْ الفراق ألذ من الوصل ، وهذا المعنى مع تعليله مبتكر من ابن حزم، وله السبق في هكذا معنى .

ولابد للمحب إذا مُنع الوصل من القنوع بما يجد ، فإن في ذلك بعض الراحة يجدها [١٢٣] تنأى به عن مزيد عناء دون جدوى ، يقول ابن حزم [١٢٤] :

فإنْ تنأ عني بالوصال فإنّنـــي ... سأرضى بلحظ العين إنْ لم يكن وصـــل
فحسبي أنْ ألقاك في اليوم مـرة ... وما كنت أرضى ضعف ذا منك لي قبـــل
كذا همة الوالي تكون رفيعـــة ... ويرضى خلاص النفس إنْ وقع العـــزل

إن كان لابد من البين والهجر ، فإنّه يرضى بالنظر وحده ، وإنْ كان في اليوم مرة ، فهذا أمر يريد أن يعتاده ؛ لأنه لم يكن يرضى بضعفه من قبل ، مشبهاً هذه الحال الجديدة وقبوله لها بهجة الوالي العالية الذي عُزِل ؛ ولكنه رضي بخلاص نفسه .

ومن آفات الحب الضنى والنحول ، وإنما يصاب به محب صادق المودة ممنوع ببين أو هجر ، وربما أضجعه ذلك [١٢٥] . يقول ابن حزم واصفاً مَنْ هذه حاله [١٢٦] :

يقول لي الطبيب بغير علـــمٍ : ... تداو فأنت يا هـــــذا عليـــــل
ودائي ليس يدريه ســـــواي ... وربَّ قـــــادر مـلك جليـــــل
أأكتمه ويكشفـــه شهيـــق ؟ ... يلازمني وإطـــــراق طويـــــل
ووجه شاهدات الحزن فيـــه ... وجسم كالخيال ضنـــــن نحيـــــل
وأثبت ما يكون الأمر يومـــاً ... بلا شك إذا صـــــح الدليـــــل

طبيب يقول بغير علمٍ ، ومريض ناحل يقرر بأنّ دواءه معلوم لديه ، ناءٍ عنه ، حبيب هجر ، تلك هي العلة ، وما علمها الطبيب الذي يأمره بالتداوي ، من دون أن يتحرّى ، ويفوّض المريض الناحل أمره إلى الله وحده ، فهو وحده الذي يعلم العلة وبيده _سبحانه وتعالى_ شفاؤه . إنّ المريض ليكتم ، وإنّ شهيقه المتحسّر ليعلن عما به يترادف إعلان شهيقه مع إطراقه الطويل ، وعلامات الحزن التي لا تخفى ؛ بل هذا الجسم الناحل الذي غدا كالخيال ، وعلته قد بانت لكل ذي فطنة ؛ لأن دليلها يعلن عن نفسه .

ومن آفات الحب السلو [١٢٧] ، إنّه ارتفاع الحب وعدمه [١٢٨] ، وهذا الفصل الذي يدور حول السلو عُدَّ من أحسن فصول (الطوق) ، فهو يصوّر لنا الموت القاسي الذي يرد في صورة أقوى من الحب نفسه . والسلو أمر يعاتب فيه أو يصفح حسب اسبابه ، فإذا كان لمجرد الإعراض والرغبة في التبديل ، فهو مذموم مستنكر ، وأما إذا كان سببه الفراق الذي لا حيلة فيه أو البعد المحتوم عن الحبيب ، أو جفوة لحبيبه أو خيانة ، فلا لوم فيه ، كالموت أو البعد الطويل [١٢٩] . يقول ابن حزم [١٣٠] :

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

لو قيل لي من قبـــــــل ذا أنْ سوف تسلـــــو من تـــــودْ
لحلفت ألـــــف قسامـــــةٍ لا كـــــان ذا أبـــد الأبـــدْ
وإذا طويل الهجـــر مـــــا معه من السلـــــوان بـــــدْ
لله هجـــــرك إنّـــــه ساع لبرئـــــي مجتهـــــدْ
فالآن أعجب للسلـــــــــ و وكنـــت أعجـــب للجلـــــدْ
وأرى هـــواك كجمـــــرةٍ تحت الرمـــــاد لها مـــــددْ

إنّه سلو صبر وتجلّد ، ومن قبل ذا ما كان المحب ليصدق أنّه سيسلو ، ولأقسم على عدمه ألف قسم ؛ ولكنه سلى رغماً عنه لطويل الهجر الذي رآه من محبوبه ، حتى يئس منه بالكلية ، وهو الآن يعجب للسلو ، وقد كان عجبه للجلد ؛ ولكنه مع كل ذلك الذي يستحث به نفسه للسلو ، نراه يرى حبه لحبيبه كجمرة تحت رماد تظهر للناظر وكأنها كباقي الرماد برداً وسلاماً ؛ ولكنها ما إن تلمسها حتى تحرق ما لمسته منك ، وهذا الذي يجد في نفسه من الحب ، ليس إلا دليلاً على الإخلاص والوفاء .

وربما تزايد أمر ما ذكرنا من آفات الحب ، فعظم الاشفاق حتى كان سبباً للموت [١٣١] . قال ابن حزم: " وقد جاء في الآثار : من عشق ، فعفّ ، فمات ، فهو شهيد " [١٣٢] . وهذا الأثر قد نقل تضعيفه عن أهل الحديث ، ابن القيم في كتابه (روضة المحبين) [١٣٣] . وقد نظم معناه ابن حزم قال [١٣٤] :

فإن أهلك هوى أهلك شهيداً وإنْ تمنن بقيتُ قريـر عيـــــن
روى هذا لنا قـــوم ثقـات ثووا بالصدق عن جرح وميـــــن

المطلب السابع :- (قبح المعصية وفضل التعفف)

أولاً : قبح المعصية : وكثير من الناس يطيعون أنفسهم ، ويعصون عقولهم ، ويتبعون أهواءهم ، ويتجنبون ما حضّ الله تعالى ورتّبه في الألباب السليمة من العفة ، وترك المعاصي ، ومقارعة الهوى ، ويخالفون الله ربهم ، فيوافقون المعصية في حبِّهم ، وقد علمنا أن الله _عزّ وجلّ_ ركّب في الإنسان طبيعتين متضادتين : إحداهما لا تشير إلا بخير ، ولا تحض إلا على حسن ، ولا يتصور فيها إلا كل أمر مرضي ، وهي العقل ، وقائده العدل . والثانية : ضد للأولى ، ولا تشير إلا على الشهوات ، ولا تقود إلا على الردى ، وهي النفس ، وقائدها الشهوة ، والله _عزّ وجلّ_ يقول : (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ) [سورة يوسف : ٥٣] . فإذا غلب العقل النفس ارتدع الإنسان ، وقمع عوارضه المدخولة ، واستضاء بنور الله _عزّ وجلّ_ ، واتبع العدل . وإذا غلبت النفس العقل عميت البصيرة ، فلم يتضح الفرق بين الحسن والقبيح ، وعظم الإلتباس ، وتردى في هوّة الردى ومهواة التهلكة [١٣٥] . وإنّ فيما يبدو إلينا من تعادي المتواصلين في غير ما يرضي الله _عزّ وجلّ_ بعد الألفة، وتدابرهم بعد الوصال ، وتقاطعهم بعد المودة ، وتباغضهم بعد المحبة ، واستحكام الضغائن في صدورهم ، لكاشفاً ناهياً لو صادف عقولاً سليمة وآراءً نافذة ، فكيف بما أعدّه الله تعالى لمن عصاه [١٣٦] ؟ . والله _عزّ وجلّ_ يقول : (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) [سورة الحج : ٢] . يقول ابن حزم في النهي عن إتباع الهوى على سبيل الوعظ [١٣٧] :

أقول لنفسي ما مبيـــــــن كحـــالك وما الناس إلا هالك وابن هـــــالك
صُنْ النفس عما عابها وأرفض الهـوى فإنَّ الهوى مفتاح باب المهـــــالك
رأيتُ الهوى سهل المبادي لذيذهـــا وعقباه مرّ الطعم ضنك المســـالك
فما لذّة الإنسان والموت بعدهـــــا ؟ ولو عاش ضعفي عمر نوح بن لامـك
فلا تتبع داراً قليـــلاً لباثـــــها فقد أنذرتنا بالفنـــاء المواشـــك

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

وما تركها إلّا إذا هـــي أمكنـــت ... وكم تـــاركٍ إضماره غير تـــارك
فما تارك الآمال عجباً جـــؤاذراً ... كتاركها ذات الضروع الحواشـــك
وما قابل الأمر الذي كان راغبـــاً ... بشهوة مشتاق وعقل مبـــارك
لأجدى عباد الله بالفوز عنـــده ... لدى جنّة الفردوس فوق الأرائـــك
ومن عرف الأمر الذي هو طالـــب ... رأى سبباً في بدي كلِّ مـــالك
ومن عرف الرحمن لم يعص أمـــره ... ولو أنّه يُعطى جميع الممـــالك

ليس الخلود لأحدٍ ، وكل الناس هالكة ؛ لذا صون النفس ورفض هواها أمر واجب ؛ لأنه مفتاح الهلاك . والهوى مبدؤه سهل لذيذ ؛ ولكن عاقبته مرّة ، ومسالكه ضيقة لا تفضي إلا إلى هلاك ، وليس للذة بعدها موت طعم ، ولو عاش الإنسان عمر نوح _عليه السلام_ أو ضعفه ، وجدير بالمسلم أن لا يتبع هذه الدار الفانية القصيرة ، ونحن ننذر بكل ما نراه واقعاً ، وبكل ما نجده في القرآن يقينا فناؤنا بنصوصه ، وجدير بنا ترك الأمر المخالف لأمر الله _عزّ وجلّ_ لا عن عجز نجده في أنفسنا ؛ ولكن طاعة خالصة لله وحده ؛ لنُجزى بجنان خلده ، وإنَّ مَنْ عرف الله حق معرفته لم يعصه ، وإن أعطي ملك الدنيا جميعاً . وفي ترك المعاصي إقامة المروءة ، وصون العرض ، وحفظ الجاه ، وصيانة المال ، وصلاح المعاش ، وراحة البدن ، وقوة القلب ، وطيب النفس ، وانشراح الصدر ، والأمن من مخاوف الفسّاق والفجّار ، وقلّة الهم والغم والحزن ، وعزّ النفس عن احتمال الذُّل ، وصون نور القلب أن تطفئه ظلمة المعصية ، والثناء الحسن في الناس ، وكثرة الدعاء له ، وتنافس الناس على قضاء حوائجه ، والأهم من ذلك كله هو عدم خوفه من الموت، وكبر الآخرة عنده [١٣٨] .

ثانياً : فضل التعفف : ومن الأفضل ما يأتيه في حبّه التعفف ، وترك المعصية والفاحشة ، وألا يرغب عن مجازاة خالقه له بالنعيم في دار المقامة ، وألا يعصي مولاه المتفضل عليه ، الذي جعله أهلاً لأمره ونهيه ، وأرسل إليه رسله ، وجعل كلامه ثابتاً لديه ، عناية منه بنا ، وإحساناً إلينا [١٣٩] . ولو لم يكن جزاء ولا عقاب ولا ثواب ؛ لوجب علينا إفناء اعمارنا ، واتعاب أبداننا ، وإجهاد طاقاتنا ، واستفراغ قوانا ، في شكر الخالق الذي ابتدأنا بالنعيم ، وامتن علينا بالعقل الذي به عرفناه ، ووهبنا الحواس والعلم والمعرفة ، ودقائق الصناعات ، وصرّف لنا السماء جارية بمنافعها ؛ بل ودبّرنا التدبير الذي لو ملكنا أمرنا لم نهتدِ إليه ، ولا نظرنا لأنفسنا نظرة إلينا ، وفضّلنا على أكثر المخلوقات .

إنّ مَن عرف ربه ، ومقدار رضاه وسخطه ، هانت عنده اللذة الذاهبة والحطام الفاني ، فكيف وقد أتى من وعيده ما تقشعر له الأجساد ؟ وأورد علينا من عذابه ما لم ينتهِ إليه أمل ، ومن نعيمه ما تهون في سبيله الدنيا وما فيها ، وقد أمرنا الله _عزّ وجلّ_ بالعفاف ، وذكر لنا جميل عاقبته [١٤٠] ، قال تعالى : (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ) [سورة النور : ٣٣] . وفي الحض على التعفف يقول ابن حزم [١٤١] :

أقصر عن لهوه وعن طربـــه ... وعفّ في حبِّه وفـــي عربـــه
فليس شرب المداد همتـــه ... ولا إقتناص الظّباء من إربـــه
قد آن للقلب أنْ يفيق فـــأن ... يزيل ما قد عـــلاه من حجبـــه
ألهاه عما عهدت يعجبـــه ... خيفة يوم على السرائر بـــه
يا نفس جدِّي وشمّري ودعـــي ... عنك إتباع الهوى على لغبـــه
وسارعي في النجاة واجتهـــدي ... ساعية في إخلاص من كربـــه
علّي أحظى بالفوز فيـــه وأنْ ... أنجو من ضيقه ومن لهبـــه

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

يا أيّها اللاعب المجدُّ به الـــــــ دهر أما تبقي شبا نكبـــــــــــــــــه !
كفاك من كل ما وُعظتَ بـــــــه ومكسباً لاعباً بمكسبـــــــــــــــــه

ويبذل ابن حزم جهداً كبيراً في بيان فضل التعفف ، وإتباع أوامر الشرع والدين في هذا المقام ؛ لأنّ في ذلك صلاح الأحوال ، وراحة النفوس ، وطهارة الأبدان [١٤٢] . إنه يمدح من يكون خلقه التعفف ، وليس شرب الخمر من دواعي شغله ، ولا إقتناص كل امراة سهلة المنال ، وهو يدعو إلى تطهير القلوب ، ورفع حجب المعاصي عنها ؛ لكي تكون خير قلوب تلقى ربّها يوم تبلى السرائر ، وهو يدعو إلى المسارعة في النجاة والاجتهاد في طلب أسبابها التي توصل إليها ، وتنجي من كرب يوم عظيم ؛ لعله يحظى بالفوز بالجنة والنجاة من جهنم ولهيبها . ولما كان مثل هذا اليوم في انتظار الإنسان ؛ فعليه الجدّ وترك اللعب ، فما أحد يدري متى رحيله ، ومتى تحلُّ به نكبة الموت التي تذوب لها القلوب ، وهو يدعو إلى أن يكف المرء عن كل ما هو فيه ، وأنْ يعتبر بما رآه في غيره ، فهذه دار فانية ، ولابد لأخرى باقية من زاد يتحصّل في هذه الفانية به ، بعد رحمة الله _عزّ وجلّ_ النجاة من النار وخلود في الجنان .

لقد أطال ابن حزم الكلام في فضل التعفف وقبح المعصية ، وجعل كلامه هذا خاتمة قوله في الحبِّ ؛ ليبين السبيل الذي يجب أن يسير عليه مَنْ أحبَّ ؛ فينجو بذلك من آفات قد ذكرها وحذر منها ، فلقد ذكر الداء ثم أعقبه بذكر الدواء الذي فيه خيري الدنيا والآخرة ، ولقد سار ابن حزم على هذا النهج في كتابه ؛ ولكن ثمة مواضع من الكتاب فيها دعوة صريحة لإرتكاب المعاصي ، ولا سيما قوله [١٤٣] :

قانص الفرصة واعلم أنـــــه كمضي البرق تمضي الفـــــــــــرص
كم أمور أمكنتْ ، أمهلهـــــا هي عندي ، إذ تولت غصـــــــــص
بادر الكنز الذي ألفيتـــــــه وانتهز صبراً كباز يقنـــــــــــص

ويقول [١٤٤] :

إذا وجدتُ الماء لابـــــدَّ أن أطفئ به مشعل جمر الغضـــــــــــا

وهذا تناقض من ابن حزم إذا لم نعتذر له بأنها حالات ضعف غلبت فيها عاطفة جامحة .

الخاتمة :

لقد تناول ابن حزم الحبَّ تناولاً لم يترك جزئية من جزئياته ، أو عارضاً من عوارضه ، أو آفة من آفاته . لقد ابتدأ بتعريف الحب وبيان ماهيته ؛ ولكنه اضطرب في تعريفه لأنه أراد أن يجمع بين قواعد الفلسفة ومبادئها ، وبين نصوص القرآن والسنة على غير أساس متين ، فقدّم الفهم الفلسفي على نصوص القرآن والسنة دون أن يشعر . ثم اتضح لنا في تناوله لأسباب الحبِّ مدى الواقعية التي اعتمد عليها ، فقد ابتدأ بأبعد ما يكون من أسبابه ، ثم تدرج في ذكر ما بقي منها معززاً كل سبب بشواهده الواقعية . وفي تناوله لعلامات الحب كان هناك واقعية في الشواهد ، ودقة في التصوير ، واحساس شديد بالنفس الإنسانية ومشاعرها ، وكذا الحال في تناوله لوسائل المحبين . وفي اضداد الحب وآفاته لم يخرج عن مألوف الشعراء ؛ ولكن ربما يكون له السبق من بينهم في تفضيل لحظة الوداع على زمان الوصل ، وقد أحسن تعليل ذلك وأجاد . وفي بيان قبح المعصية ، وفضل التعفف قد تناقض في بعض المواضع من كتابه ، ولربما كان ذلك بسبب جموح العاطفة المستمدة من واقعية التجربة ؛ ولذلك فإن القول بإنّ الحب عند ابن حزم عفيف قولٌ فيه نظر .

إنّ الحبَّ عند ابن حزم واقعي قبل أن يكون شيئاً آخر ، فليس متعففاً في كل أحواله ، وليس عذرياً كذلك ؛ لم يتطرق ابن حزم إلى الحبِّ العذري مطلقاً . وقد تناول ذكر أخلاق المحبين ومن حولهم ، وما لأخلاقهم من دور في مسيرة الحب ، ولا نقول بأن ابن حزم مزج بين الأخلاق والحبِّ ؛ بل لقد مزج الكلام عن الحبِّ بالكلام عن الأخلاق محمودها ومذمومها .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

وبعد المقارنات البسيطة بين شعره وشعر غيره تأكد لنا قوة شاعريته ، وتأكد لنا كذلك أن الشعر العربي بين المشرق والمغرب ، شعر واحد في كل خصائصه ومعانيه ، مع توسع للأندلسيين في مزج أغراض شعرهم بوصف الطبيعة واستمداد التشبيهات منها .

لقد كان شعره نابعاً من صدق التجربة الشعورية ؛ لأنه واقعي يعبر عن تجارب حقيقية له و لغيره ، ولقد كان يتوغل إلى أعماق النفس واصفاً ما ينتابها بكل تفصيل ، ويترافق هذا التفصيل لشعور النفس مع تفصيل في تشبيهات دقيقة تخرج ما في أغوار النفس إلى حيز الوجود ، ولقد كان لثقافته الموسوعية دور متميز في ذلك .

الهوامش :

(١) يُنظر : النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي ، د.نعمان بو قرة ، موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الانترنيت www.awu_dam.org .

(٢) يُنظر : مفردات من الحضارة الإسلامية ، محمد راجي حسن كنّاس ، تحقيق : د.أحمد الطحان ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٣ م : ٤٢ .

(٣) يُنظر : موسوعة شعراء الأندلس ، عبد الحكيم الوائلي ، دار أسامة ، عمّان ، (د.ط) ، ٢٠٠٠ م : ٨٣ ، ٨٤.

(٤) يُنظر : مفردات من الحضارة الإسلامية : ٤٢ .

(٥) يُنظر : ابن حزم حياته وعصره _آراؤه وفقهه_ ، محمد أبو زهره ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ط) ، ٢٠٠٤ م : ٢٦ .

(٦) يُنظر : المصدر نفسه : ٢٩ .

(٧) يُنظر : موسوعة شعراء الأندلس : ٨٤ .

(٨) يُنظر : تاريخ المسلمين في الأندلس ، د.محمود سهيل طقوس ، دار النفائس ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥م : ٣٧١ .

(٩) يُنظر : ابن حزم حياته وعصره _آراؤه وفقهه_ : ٣٤٠ .

(١٠) يُنظر : تاريخ الفكر الأندلسي ، آنخل جنثالث بالنثيا ، ترجمة : حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٥ م : ٢١٤ .

(١١) يُنظر : تاريخ الفكر الأندلسي : ٢٣٧ .

(١٢) يُنظر : الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، د.منجد مصطفى بهجت ، دار الكتب ، الموصل ، (د.ط) ، ١٩٨٨م : ١٥٩ – ١٦٧ .

(١٣) يُنظر : لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، (د.ت) : ١ / ٢٨٩ .

(١٤) التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠ هـ : ١٣٨ .

(١٥) يُنظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) : ١٢ / ٧ .

(١٦) مجمع الأمثال ، أحمد بن محمد النيسابوري ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) : ١ / ١٤٦ .

(١٧) يُنظر : محاضرات الأدباء ، الراغب الأصبهاني ، نقلاً عن كتاب : طوق الحمامة في الألفة و الآلاف ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : عبد الحق التركماني ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٢ م : ٩٨ .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

(١٨) يُنظر : تاريخ الأدب الأندلسي _عصر الطوائف والمرابطين_ ، د.احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، (د.ط) ، ١٩٦٢م: ١٥٦ – ١٥٧ .
(١٩) طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : صلاح الدين القاسمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، (د.ط) ، ١٩٨٦ م : ٤٧ .
(٢٠) المصدر نفسه : ٤٩ _ ٥٠ .
(٢١) المصدر نفسه : ٥٠ .
(٢٢) الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن اسماعيل البخاري ، تحقيق : د.مصطفى أديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٧ م : ٣ / ١٢١٣ .
(٢٣) يُنظر : تاريخ عصور الأدب العربي ، د.أحمد الفاضل ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣ م : ١١١ .
(٢٤) يُنظر : طوق الحمامة : ٥٠ .
(٢٥) المصدر نفسه : ٥٠ _ ٥١ .
(٢٦) الارادة : هي قوة يقصد بها الشيء دون الشيء . يُنظر : المعجم الفلسفي عند العرب ، د.عبد الأمير الأعسم ، مكتبة الفكر العربي ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٥ م : ١٩٣ .
(٢٧) العلة : "هي كل ذات وجود ذات آخر بالفعل من وجود هذا بالفعل ، ووجود هذا بالفعل ليس من وجود ذلك بالفعل" . المصدر نفسه : ٢٦٠ .
(٢٨) المعلول : "هو كل ذات وجوده بالفعل من وجود غيره ، ووجود ذلك الغير ليس من وجوده" . المصدر نفسه : ٣٦٠ ، ٣٦١ .
(٢٩) طوق الحمامة : ٥١ .
(٣٠) المصدر نفسه : ٥٤ .
(٣١) المصدر نفسه : ٥٥ .
(٣٢) يُنظر : علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤ م : ٢٩١ .
(٣٣) الإحداث : "هو أن يقال على وجهين : أحدهما زماني ، والآخر غير زماني ، ومعنى الاحداث الزماني إيجاد شيء بعد أن لم يكن له وجود في زمانٍ سابق ، ومعنى الإحداث غير الزماني هو إفادة الشيء وجوداً ، وليس له في ذاته ذلك الوجود ، لا بحسب زمانٍ دون زمانٍ؛ بل في كل زمان كلا الأمرين" . المصطلح الفلسفي عند العرب : ٢٦٢ .
(٣٤) طوق الحمامة : ٢٦٢ .
(٣٥) المصدر نفسه : ٥٧ .
(٣٦) المصدر نفسه : ٥٧ .
(٣٧) ديوان عمر ابن أبي ربيعة ، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧ م : ١٤٥ .
(٣٨) يُنظر : طوق الحمامة : ٥٨ .
(٣٩) يُنظر : المصدر نفسه : ٥٥ .
(٤٠) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، شمس الدين محمد ابن أبي بكر بن قيم الجوزي ، دار الكتب العلمية ، (د.ط) ، (د.ت) : ٦٧ .
(٤١) طوق الحمامة : ٥٨ .
(٤٢) ديوان ابن خفاجة ، تحقيق : عبد الله سنده ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦ م : ٢٦٤ .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

(٤٣) روضة المحبين : ٢٧٠ .
(٤٤) يُنظر : طوق الحمامة : ٥٨ .
(٤٥) المصدر نفسه : ٥٨ .
(٤٦) روضة المحبين : ٢٧٣ .
(٤٧) يُنظر : طوق الحمامة : ٥٨ _ ٥٩ .
(٤٨) المصدر نفسه : ٥٩ .
(٤٩) المصدر نفسه : ٦١ .
(٥٠) يُنظر : من الفكر والقلب ، د.محمد سعيد رمضان السيوطي ، مكتبة الفارابي ، (د.ط) ، ١٩٧٢ م : ٢٢٦ _ ٢٢٧ .
(٥١) ديوان امرؤ القيس ، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٤ م : ٤٩ .
(٥٢) طوق الحمامة : ٦٤ .
(٥٣) ديوان ابن زيدون ، تحقيق : عبد الله سنده ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ م : ٢٢ .
(٥٤) طوق الحمامة : ٦٦ .
(٥٥) ديوان قيس بن الملوح ، تحقيق : يسرى عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ م : ٥٣ .
(٥٦) يُنظر : طوق الحمامة : ٦٨ _ ٦٩ .
(٥٧) المصدر نفسه : ٦٩ .
(٥٨) ينظر : طوق الحمامة : ٧٠ .
(٥٩) المصدر نفسه : ٧١ .
(٦٠) المصدر نفسه : ٧١ .
(٦١) المصدر نفسه : ٧١ .
(٦٢) المصدر نفسه : ٧١ .
(٦٣) يُنظر : المصدر نفسه : ٧٥ .
(٦٤) المصدر نفسه : ٧٨ .
(٦٥) ديوان عمر ابن أبي ربيعة : ٣١٩ .
(٦٦) يُنظر : طوق الحمامة : ٧٩ .
(٦٧) المصدر نفسه : ٨٠ .
(٦٨) يُنظر : المصدر نفسه : ٨٠ _ ٨٢ .
(٦٩) المصدر نفسه : ٨٠ .
(٧٠) يُنظر : ديوان قيس بن الملوح : ٢٧ .
(٧١) يُنظر : طوق الحمامة : ٨٤ _ ٨٥ .
(٧٢) المصدر نفسه : ٨٧ .
(٧٣) يُنظر : الفلسفة الإنسانية في الإسلام ، د.سهير فضل الله أبو وافية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٦ م : ١٨٥ .
(٧٤) طوق الحمامة : ٨٩ _ ٩٠ .
(٧٥) المصدر نفسه : ٩٠ .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

(٧٦) يُنظر : المصدر نفسه : ٩١ _ ٩٤ .
(٧٧) المصدر نفسه : ٩٤ .
(٧٨) المصدر نفسه : ٩٤ .
(٧٩) المصدر نفسه : ٩٥ .
(*) أم الهنا : هي بنت القاضي أبي محمد بن عبد الحق بن عطية في عهد المرابطين . الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، د.محمد مجيد السعيد ، دار الرشيد ، بغداد ، (د.ط) ، ١٩٨٠ م : ١٧٦ .
(٨٠) يُنظر : المصدر نفسه : ١٧٦ .
(٨١) طوق الحمامة : ٩٦ _ ٩٧ .
(٨٢) يُنظر : المصدر نفسه : ٩٧ .
(٨٣) ديوان ابن هانئ الأندلسي ، تحقيق : حمدو أحمد طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ م : ٥٨ .
(٨٤) ديوان ابن زيدون : ٥٠ .
(٨٥) يُنظر : طوق الحمامة : ٩٩ .
(٨٦) طوق الحمامة : ١٠١ .
(٨٧) المصدر نفسه : ١١٦ .
(٨٨) يُنظر : المصدر نفسه : ١١٧
(٨٩) المصدر نفسه : ١١٧ .
(٩٠) ديوان قيس بن الملوح : ٣٨ .
(٩١) ديوان جميل بثينة ، تحقيق : مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٣ م : ٢١ .
(٩٢) المصدر نفسه : ٣٢ .
(٩٣) ديوان عمر ابن أبي ربيعة : ٢٣٠ .
(٩٤) يُنظر : طوق الحمامة : ١٤٦ _ ١٥٨ .
(٩٥) المصدر نفسه : ١٥٣ .
(٩٦) المصدر نفسه : ١٥٦ .
(٩٧) المصدر نفسه : ١٥٨ .
(٩٨) ديوان قيس بن الملوح : ٣٢ .
(٩٩) طوق الحمامة : ١٥٩ .
(١٠٠) المصدر نفسه : ١٦٨ _ ١٦٩ .
(١٠١) المصدر نفسه : ١٦٩ .
(١٠٢) يُنظر : المصدر نفسه : ١١٨ _ ١١٩ .
(١٠٣) يُنظر : المصدر نفسه : ١٣٥ .
(١٠٤) المصدر نفسه : ١٣٦ .
(١٠٥) ديوان ابن زيدون : ١٩ .
(١٠٦) طوق الحمامة : ١٣٦ .
(١٠٧) المصدر نفسه : ١٣٧

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

(١٠٨) ديوان عمر ابن أبي ربيعة : ٢٣٠ .
(١٠٩) طوق الحمامة : ١٤٣ .
(١١٠) الأخلاق والسير ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : إيفار رياض ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ م : ٨٢ .
(١١١) روضة المحبين : ٤٥٩ .
(١١٢) يُنظر : طوق الحمامة : ١٦١ _ ١٦٤ .
(١١٣) المصدر نفسه : ١٦٦ _ ١٦٧ .
(١١٤) ديوان عمر ابن أبي ربيعة : ١٧٥ .
(١١٥) يُنظر : طوق الحمامة : ١٢٢ _ ١٢٥ .
(١١٦) طوق الحمامة : ١٢٥ .
(١١٧) يُنظر : المصدر نفسه : ١٢٦ .
(١١٨) المصدر نفسه : ١٢٩ .
(١١٩) يُنظر : المصدر نفسه : ١٧٠ .
(١٢٠) المصدر نفسه : ١٧٣ .
(١٢١) المصدر نفسه : ١٧٣ _ ١٧٤ .
(١٢٢) المصدر نفسه : ١٧٦ _ ١٧٧ .
(١٢٣) يُنظر : المصدر نفسه : ١٨٥ .
(١٢٤) المصدر نفسه : ١٨٥ _ ١٨٦ .
(١٢٥) يُنظر : المصدر نفسه : ١٩٦ .
(١٢٦) المصدر نفسه : ١٩٦ .
(١٢٧) يُنظر : المصدر نفسه : ٢٠٠ .
(١٢٨) يُنظر : المصدر نفسه : ٤٥ .
(١٢٩) يُنظر : تاريخ الفكر الأندلسي : ٢٣٤ .
(١٣٠) طوق الحمامة : ٢٠٤ .
(١٣١) يُنظر : المصدر نفسه : ٢١٣ .
(١٣٢) المصدر نفسه : ٢١٣ .
(١٣٣) يُنظر : روضة المحبين : ١٨٠ .
(١٣٤) طوق الحمامة : ٢١٣ .
(١٣٥) يُنظر : المصدر نفسه : ٢٢٣ _ ٢٢٤ .
(١٣٦) يُنظر : المصدر نفسه : ٢٣٨.
(١٣٧) المصدر نفسه : ٢٤٧ _ ٢٤٨ .
(١٣٨) يُنظر : فوائد الفوائد ، شمس الدين بن القيم الجوزية ، تحقيق : علي الحلبي ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٩٧ م : ٣٠٢ .
(١٣٩) يُنظر : طوق الحمامة : ٢٤٩ _ ٢٥٥ .
(١٤٠) يُنظر : المصدر نفسه : ٢٥٥ _ ٢٥٦ .
(١٤١) المصدر نفسه : ٢٥٦ .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثاني الاربعون – شباط ٢٠٢٥– شعبان ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

(١٤٢) يُنظر : الفلسفة الإنسانية في الإسلام : ١٩١ .
(١٤٣) طوق الحمامة : ١١٣ .
(١٤٤) المصدر نفسه : ١١٥ .

ـالقرآن الكريم .

قائمة المصادر والمراجع :ـ

(١) ابن حزم حياته وعصره _آراؤه وفقهه_ ، محمد أبو زهره ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ط) ، ٢٠٠٤ م .
(٢) الأخلاق والسير ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : إيفار رياض ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠ م .
(٣) الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة ، د.منجد مصطفى بهجت ، دار الكتب ، الموصل ، (د.ط) ، ١٩٨٨م .
(٤) تاريخ الأدب الأندلسي _عصر الطوائف والمرابطين_ ، د.احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، (د.ط) ، ١٩٦٢م .
(٥) تاريخ عصور الأدب العربي ، د.أحمد الفاضل ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣ م .
(٦) تاريخ الفكر الأندلسي ، آنخل جنثالث بالنثيا ، ترجمة : حسين مؤنس ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٥٥ م .
(٧) تاريخ المسلمين في الأندلس ، د.محمود سهيل طقوس ، دار النفائس ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
(٨) التوقيف على مهمات التعاريف ، محمد عبد الرؤوف المناوي ، دار الفكر ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠ هـ .
(٩) الجامع الصحيح المختصر ، محمد بن اسماعيل البخاري ، تحقيق : د.مصطفى أديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٧ م .
(١٠) ديوان ابن خفاجة ، تحقيق : عبد الله سنده ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦ م .
(١١) ديوان ابن هانئ الأندلسي ، تحقيق : حمدو أحمد طماس ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ م .
(١٢) ديوان امرؤ القيس ، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط٢ ، ٢٠٠٤ م .
(١٣) ديوان جميل بثينة ، تحقيق : مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٣ م .
(١٤) ديوان عمر ابن أبي ربيعة ، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٧ م .
(١٥) ديوان قيس بن الملوح ، تحقيق : يسرى عبد الغني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ م .
(١٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .
(١٧) روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، شمس الدين محمد ابن أبي بكر بن قيم الجوزي ، دار الكتب العلمية ، (د.ط) ، (د.ت) .
(١٨) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، د.محمد مجيد السعيد ، دار الرشيد ، بغداد ، (د.ط) ، ١٩٨٠ م .
(١٩) طوق الحمامة في الألفة والألاف ، ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : صلاح الدين القاسمي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، (د.ط) ، ١٩٨٦ م .
(٢٠) علوم البلاغة ، أحمد مصطفى المراغي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٤ م .

ISSN–2536–0027

(٢١) الفلسفة الإنسانية في الإسلام ، د.سهير فضل الله أبو وافية ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٦ م .
(٢٢) فوائد الفوائد ، شمس الدين بن القيم الجوزية ، تحقيق : علي الحلبي ، دار ابن الجوزي ، الرياض ، ط٢ ، ١٩٩٧ م .
(٢٣) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ط١ ، (د.ت) .
(٢٤) مجمع الأمثال ، أحمد بن محمد النيسابوري ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .
(٢٥) المعجم الفلسفي عند العرب ، د.عبد الأمير الأعسم ، مكتبة الفكر العربي ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٥ م .
(٢٦) مفردات من الحضارة الإسلامية ، محمد راجي حسن كنّاس ، تحقيق : د.أحمد الطحان ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٣ م .
(٢٧) من الفكر والقلب ، د.محمد سعيد رمضان السيوطي ، مكتبة الفارابي ، (د.ط) ، ١٩٧٢ م .
(٢٨) موسوعة شعراء الأندلس ، عبد الحكيم الوائلي ، دار أسامة ، عمّان ، (د.ط) ، ٢٠٠٠ م .
(٢٩) النظرية اللسانية عند ابن حزم الأندلسي ، د.نعمان بو قرة ، موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الانترنيت www.awu_dam.org .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية CAMBRIDGE SCINTIFIC JOURNAL